وطن الراشدين

عمرو عبد العزيز

دار القمري للنشر والتوزيع

محفوظة
جميع الحقوق

الطبعة الأولى
2013 م

وطن الراشدين
رقم الإيداع: ٢٠١٣/١١٧٥٢
عدد الصفحات: ١٦٨ صفحة
القياس: ١٤,٥×٢٠ سم
الكاتب: عمرو عبد العزيز
توزيع: دار القمري

دار القمري
للنشر والتوزيع
01147474589
01147474568

وطن الراشدين

عمرو عبدالعزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

• مقدمة •

ـا أوثان الأجداد:

تحت حرارة شمس المكسيك الحارقة، وقف ذلك الكاهن الازتيكي أمام أحد أهرامات المكسيك الغامضة ..

راح يصرخ منادياً على الإسبان المحتلين .. واجهه بعض الجنود ومعهم القساوسة الذين جاءوا لتنصير المكسيك ..

سألوه عن سبب صراخه المعترض .. فرد مغتاظاً :

- أريد أن نقيم مناظرة .. أريدها مناظرة بين رهبان مدينتنا (مكسيكو تينوشتيتلان) وبين رهبان النصرانية .. شعبنا بدأ يُفتن بحججكم عن إلَهكم المزعوم ..

- لك هذا .. اجمع كهنتكم وسنناظرهم ..

بعد أيام بدأت المناظرات بين الرهبان المسيحيين ورهبان الوثنيين ..

لكنها بدت مرهقة متكررة الحجج من جانب الوثنيين!

ما هي الحجة التي راحوا يذكرونها بلا ملل؟

- إن ما تقولونه هو كلام جديد، ونحن منزعجون منه، ذلك أن آبائنا، أولئك الذين كانوا قد عاشوا على هذه الأرض، لم يكن من

عادتهم قط التحدث بهذا الشكل.

ثم ..

- لقد كانت تلك هي عقيدة أجدادنا، إننا نحيا بفضل الآلهة، هل صار علينا الآن أن نهدم القاعدة القديمة للحياة؟

واستمرت تلك هي الحجة الرئيسية طوال المناظرة ..

هل يبدو الكلام مألوفاً بالنسبة لك كمسلم؟

برغم أن هذه الحضارة (الآزتيك) لم يكن لها أي اتصال طوال التاريخ بالإسلام أو بغيره، فقد كان ما يقولونه هو أول حجة تبادرت إلى أذهانهم كوثنيين في تلك المناظرة ..

هذا مدهش!

لماذا؟

لأن تلك الحجج -بالحرف- مذكورة في القرآن الكريم عدة مرات من جانب الوثنيين!

وثنيو فرعون ووثنيو قريش!

« وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون »

« قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما

المستهزيا، في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين »

- وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه اباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون »

- وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير »

- قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون »

تأمل التطابق الحرفي في بعض الكلمات! تطابق مذهل!

ألا يستدعي هذا في عقلك آية معينة لا مفر من تأملها في هذا الموقف، وهي :

« ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »

إن هذه الآية معبرة جداً عن هذا الموقف، سؤال حاسم من رب العالمين سبحانه وتعالى الذي يعلم حجج الوثنيين مقدماً، ولو كان هؤلاء الكهنة المنصرين ذوي عقل وعلم بالقرآن لآمنوا به فوراً بعد هذه المناظرة! تخيل أن تذهب إلى كوكب آخر فيه بشر خرجوا من الأرض وغابوا عن الحضارة منذ عشرة آلاف عام فتجدهم يواجهونك بنفس الكلام الذي ذكر ربك أنهم سيقولونه بالحرف!

نعم، إنها خبرة الخالق عز وجل بالبشر المخلوقين وما يناسبهم ..

ولا خبير بالبشر إلا إياه، لهذا من أعجب العجب أن نجد البعض يجتهد في صنع أنظمة وضعية تخالف الشريعة وتخالف ما كان عليه وطن المسلمين في العهد النبوي والراشدي ..

ثم تعال لتتأمل تلك الحجة الوثنية مع أتباع تلك الأنظمة التي نعيش فيها حالياً ولاحظ تكررها بنفس الوتيرة تقريباً .. وإن كانت الملكية التقليدية والديكتاتورية مذمومتين فالديمقراطية يمدحها الكثيرون بلا توقف نقلاً عن آبائهم .. برغم أنهم إن تعمقوا في أسسها الواقعية لوجدوها لا تخرج عن نطاق (الملك الجبري) هي الأخرى! يقابل هؤلاء مقدسو أنظمة الحكم التي تلت عهد الراشدين كما هي لا لشيء سوى لأنها أيضاً (ما وجدنا عليه آباءنا)!

إن الأنظمة الوضعية الحديثة ومقابلها الأنظمة التاريخية السالفة التي تلت عهد الخلفاء الأربعة أصبحت أوثاناً عند البعض، يرفضون تحطيمها أو المساس بها تعديلاً أو هدماً .. وأخطر تلك الأوثان الكبرى حالياً هي الديمقراطية باعتبارها النظام الأفضل الذي أثبتت التجربة الإنسانية التاريخية مزاياه الكثيرة .. فهل النظام الديمقراطي هو الأصلح للأمة المسلمة حالياً؟

متحررين من حجة (هذا ما وجدنا عليه آبائنا) سنحاول التعرف على هذا النظام على أرض الواقع وهل هو الأصلح لنا فعلاً أم لا .. مجتهدين في تقديم تصور جديد لوطن الراشدين الذي قام على أسس مختلفة عن كل ما هو معاصر حالياً ..

وهذا الكتاب لا يصنع دستوراً للحكم كذلك .. فالدستور بالمعنى المتعارف عليه كعقد اجتماعي لا تجوز مخالفته، لا محل له أبداً في دولة مسلمة .. فلا يوجد مرجع نهائي للمسلمين جميعاً إلا القرآن والسنة .. ومع ذلك لا يمنع هذا أبداً وجود مجموعة من القوانين تنظم شكل مؤسسات الدولة لكن مع ضرورة عدم وضعها في مكان المقدس .. مكان القرآن ..

بمعنى آخر .. نعم لابد من دولة المؤسسات وهذا هو ما فعله الفاروق رضي الله عنه بإدخال نظام الدواوين بعدما زاد حجم الدولة عن مقدرات النماذج البسيطة للحكم .. لكن بشرط أن يكون العقد الذي ينظم دور هذه المؤسسات مجرد قانون لا ينتقل أبداً لموضع التقديس .. كما يوجد قانون لإدارة المرور وقانون لإدارة الإسكان مثلاً .. لا أن يحمل مفهوماً إلهياً كما هو حادث في الأنظمة الديمقراطية .. فهذا الكتاب تصور قد يمكن صياغة بعض أجزاءه

في شكل قوانين وأجزاء أخرى في شكل مفاهيم اجتماعية .. لكنه ليس دستوراً وليس مقدساً .. ستكون حماقة لا تغتفر إن ادَّعيت أن هذا هو (شكل الدولة) في الإسلام .. ما هذا الكتاب إلا مجرد محاولة لصنع تصور لهذا الوطن الأعظم ..

وطن الراشدين ..

سائلاً المولى التوفيق والسداد إن كان في هذا الكتاب خير ومصلحة للأمة ..

عمرو عبد العزيز
أبريل ٢٠١٣

الباب الأول

عصر الخلفاء الراشدين

(١) الملك الجبري الديمقراطي

« تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت » صدق رسول الله ..

إن المراحل التي حددها الرسول في حديثه عن الأمة واضحة جداً .. مرحلة النبوة، مرحلة الخلافة الراشدة وتنتهي بنهاية عهد الخلفاء الراشدين .. مرحلة الملك العضوض وتبدأ بعهد الدولة الأموية وتنتهي بنهاية مُلك العثمانيين .. ثم مرحلة المُلك الجبري .. نهاية الملكية وبداية غلبة عصر الحكام الظلمة المفروضين على المسلمين بشكل آخر غير الأسلوب الملكي المتعارف عليه تاريخياً

.. تليها مرحلة الخلافة الأخيرة الختامية ..

وإن كانت الديكتاتورية الغشوم واضحة الانتماء إلى الملك الجبري، فهل الديمقراطية التي تطبقها بعض أقطار العالم الإسلامي حالياً وتسعى لتطبيقها أقطار أخرى بعيدة عن هذا الملك الجبري؟ لقد أصبحت الديمقراطية هي الأمل عند كثير من الحالمين بالحرية في الأمة فهل في ظلالها سنتجاوز المُلك الجبري ويصبح بمقدور المسلمين اختيار حكامهم بحرية؟ هل حققت الديمقراطية ذلك في التجارب السابقة للدول الصغرى حتى تحققه للمسلمين؟

الحقيقة أن المسلمين لازال قرار اختيار حكامهم بأيدي القوى العالمية الحاكمة .. لكنها فقط غيرت وسائل اختيار الحكام .. فبدلاً من جعل أمر اختيار الرجل الجديد موكلاً إلى جماعة مغلقة تقوم بوظيفة حماية أسس العلمانية والمصالح الغربية -غالباً ما تكون هي الجيوش الحديثة- فإنها جعلت الشعب يختار هو بنفسه حاكماً من ضمن ثلة معينة يمكن التحكم في انتقائها بالتهديد العسكري السري أو غيرها من وسائل .. ثم لاحقاً تستخدم وسائل الإعلام بكثافة لتضليل الشعب وتوجيهه إلى مسار معين ليختار ما

تريده القوى العالمية أو من يمكنها على الأقل التفاهم معه ..

إن أكثر الأقطار الإسلامية الديمقراطية إن وضعت على أبسط مقياس رئيسي للديمقراطية، ألا وهو اختيار الشعوب لحكامها، فهي تعيش كذبة كبرى .. فلا هي تختار حكامها حقاً ولا تختار مسارها كما تشاء ..

حقيقي أن الحريات في النظام الديمقراطي أفضل لكنها حريات الكلام والفعاليات غير المؤثرة، لا حريات السياسة القوية والأفعال التي تبني الأمم وتُخرجها من تبعيتها وذلها ..

هل بمقدور تلك الأقطار أن تختار حاكماً يطالب بتخصيب اليورانيوم وصنع قنابل ذرية دون عقاب دولي صارم؟ ومن أول جهة داخلية ستمنع اختيار مثل هذا الحاكم؟

هل بمقدورها أن تختار حاكماً يطالب بصنع دبابات وطائرات بكثافة دون عقاب دولي صارم؟ ومن أول جهة داخلية ستمنع اختيار مثل هذا الحاكم؟

هل بمقدورها أن تختار حاكماً يطالب بالخروج من المنظومة المالية العالمية دون عقاب دولي صارم؟ ومن أول جهة داخلية ستمنع اختيار مثل هذا الحاكم؟

هل بمقدورها أن تختار حاكماً يطالب بإعلان دعم الجهاد ضد المحتلين المغتصبين دون عقاب دولي صارم؟ ومن أول جهة داخلية ستمنع اختيار مثل هذا الحاكم؟

إذن فأي حرية تلك التي حصل عليها المسلمون في النظام الديمقراطي؟

إنهم لم يحصلوا على حرية حقيقية يمكنها صنع تهديد .. فليتكلمون كثيراً .. لا مشكلة .. ولترصد الأجهزة الأمنية كلامهم دون تدخل غشيم مبكر كما يحدث في الأنظمة القمعية .. لا مشكلة أيضاً!

لكن إن جاوزوا حدود الواقع الديمقراطي الذي رسمه لهم الآخر العالمي فالعقاب معروف جيداً! ستكون البداية عند الوسيلة الأمنية الرئيسية للنظام الديمقراطي ألا وهي الإعلام، الذي سيضربهم بقسوة .. فإن لم يرضخوا يمكن معالجة أمرهم بعد ذلك بشكل أو بآخر فالحيل القمعية الديمقراطية كثيرة وأكثر شعبية من الحيل القمعية .. القمع الديمقراطي الغشوم (العسكري) هو آخر وسائل الترشيد عندما تبدي تصلباً وعناداً لا يلين ..

هذا طبعاً غير التلاعب في الإنتخابات نفسها بصور لا يُمكن

رصدها .. مثلاً في الانتخابات الأمريكية التي نجح بها بوش الابن قام الجمهوريون فيها بصنع تلاعب في قواعد بيانات المواطنين يبطل أصوات الآلاف .. فإذا كان الحزب الديمقراطي الأمريكي يعتمد بصورة كبيرة على أصوات السود في تركيبة المصوتين له، فليتم التلاعب في أصوات هؤلاء السود بطرق ملتفَّة شديدة الذكاء ..

هل أنت (جون) الذي قام بعمل مخالفة سير في الولاية المجاورة .. نعم القانون يعطيك الحق في التصويت .. لكن قام (البعض) بالتلاعب في قواعد البيانات بحيث تتحول هذه (الجنحة) إلى (جناية) تجعل صوتك يُمنع من الاحتساب! لماذا؟ ربما حدث خطأ يا سيدي!

لكن المفاجأة عندما تطلع على إحصائات المشهد من أعلى فتكتشف أن كافة الذين حدث معهم هذا الخطأ (العفوي) في هذه الولاية كانوا من السود فقط! ثم تتبع مسار الشركة التي قامت بوضع قاعدة البيانات المعيوبة هذه فتجدها مرتبطة بالجمهوريين!

هذا مثال من عشرات الأمثلة .. لكن لماذا يصمت الديمقراطيون هناك؟ هل هم مجرد حمائم؟

كلا .. ليسوا كذلك قطعاً .. بل ولا تفسير لصمتهم سوى أنهم يقومون بأفعال مماثلة في أماكن أخرى! لتتحول الانتخابات

(الديمقراطية) الحرة إلى فرصة للتلاعب متى جاءت الفرصة .. حريصين على ألا يبدو هذا التلاعب مستفزاً غبياً .. وهكذا يعيش الشعب الأمريكي سعيداً في ظلال الديمقراطية التي تعيشها الآن بعض الشعوب المسلمة!

إذن من يختار حُكام المسلمين في الأنظمة الديمقراطية حقاً؟

إنه مجلس للشورى يرأسه القطب الأوحد ويضم الجماعة الوظيفية التي تحفظ له مصالحة بقوة السلاح (الجيش) ثم بعد ذلك يجئ مقعد العضو المُتغير (حسب الإرادة الشعبية الموجهة!) وهو الحاكم الديمقراطي الداخلي ..

إن العضو الثالث هو الأقل فعالية لأنه فرد مؤقت ليس له قدرة حقيقية ما لم يقم بصنع معجزة تتلخص في إقناع الجماعة الوظيفية الحامية بأن تتبعه مهما كانت التضحيات .. ربما لهذا حافظت لجان العوائق الأولية لاختيار المرشحين (كما حدث في انتخابات مصر ٢٠١٢) على ألا يدخل مرشح ذكي يحظى بشعبية كبيرة أو قدرة بلاغية خطابية متميزة تساعد على صنعها مستقبلياً مما قد يهدد حصص المشاركين في المجلس الحاكم!

إن أمريكا تكره الحكام ذوي الشعبية مهما كان حجم ولائهم

لها .. لابد أن يشعر الحاكم التابع لها والعضو الثالث في مجلس الشورى أنه مهدد دائماً بورقة أمريكية بديلة تجعله يقاتل من أجل نيل رضاها .. ناهيك طبعاً عن رفضها لدخول مرشح ذو توجه مخيف إلى المعركة أساساً .. ذكرى هتلر والليندي وشافيز ولومومبا الآتين بالديمقراطية لا تزال تؤرقها ولن تقبل بالمغامرة بها في بلاد كمصر وسوريا والأردن تكمن أقوى نقطة في أهميتهم العالمية المركبة أنهم يحمون الدولة الصهيونية .. وكما قال المذيع الأميركي جون ستيوارت ساخراً عندما وجد مرشحاً شيخاً مصرياً للرئاسة في انتخابات ٢٠١٢ : إننا لم نجعل عندكم ديمقراطية لهذا .. الديمقراطية عندكم مصنوعة لتأتي برجال مثلنا! مثلنا!

هل نحتاج لذكر كيف اعترف العالم كله بانتخابات نيكاراجوا الديمقراطية عام ١٩٨٤ وبانتصار الساندينيستيين حتى أشد أعداءهم المتحمسين للأفعال الريجانية المتغطرسة، ثم فوجئ الجميع برفض أمريكا لهذه الانتخابات الديمقراطية النزيهة ودخولها بكل ثقلها لدعم الكونترا العميلة كي تصل للحكم؟ لقد كان السبب أن الساندينيستيين يساريي التوجه معادين

لأمريكا، بل إن اسم حركتهم قادم من أوغستو ساندينو الذي قاد ثورة ضد الأمريكان في الثلاثينيات .. فكيف توافق أمريكا لهؤلاء بالقدوم إلى الحكم؟ تسقط الديمقراطية في هذه الحالة طبعاً!

وإن كان هذا الأمر منذ زمن بعيد فأقرب منه انتخابات فلسطين الديمقراطية التي رفضت أمريكا الاعتراف بها لفوز حركة إسلامية كحماس .. العقلية لا زالت كما هي .. من هو مصنف عندهم (متطرف) ولا يقبل التدجين بسهولة يلزم عرقلته وعدم الاعتراف به وعقاب من ينتخبه!

إذن فالملك من حيث كونه (حفظ مصالح طبقة معينة ارستقراطية وجبر الشعوب على حكام مفروضين من داخل هذه الطبقة يثبتون أركان النظام القائم كما هو) لازال ثابتاً في جوهره لم يتغير .. وإنما تغيرت أساليب اختيار المَلك الجبري .. بدلاً من ملك محدد مفروض بالقهر يصبح ملكاً محدداً مفروضاً هو الآخر لكن بطريق يوحى أنه حر لا قهر فيه، أو على حد تعبير شومسكي « في ديمقراطيات رأسمالية الدولة، عمل الصراع الشعبي الطويل والمرير على توسيع وإغناء الميدان الشعبي. في الوقت الذي عملت فيه السلطة الخاصة المركزة جاهدة للحد منه . تشكل هذه النزاعات جزءاً

كبيراً من التاريخ الحديث، والطريقة الأكثر فعالية للحد من الديمقراطية هي نقل عملية اتخاذ القرار من الميدان الشعبي إلى المؤسسات غير الخاضعة للمحاسبة : كالملوك والأمراء، أو الطبقات الكهنوتية المنغلقة، أو العصب العسكرية المسيطرة على الحكومة إثر انقلاب أو الديكتاتوريات الحزبية، أو الشركات الحديثة «!

إن الديمقراطية التي تعيشها بعض الشعوب الإسلامية ليست سوى حلقة جديدة من مرحلة (المُلك الجبري) التي ذكرها رسول الله في حديثه الشهير .. لكن خداعها وتلاعبها مركبان بصورة كبيرة، ومحق إدوارد بيرنز اليهودي الأمريكي وأحد كبار رواد علم (العلاقات العامة) في قوله « إن التلاعب المقصود والذكي بالعادات والآراء المنظمة للجماهير هو عنصر هام في المجتمع الديمقراطي « !

لابد من التلاعب بالشعب من قبل النخبة الحاكمة له فعلاً ..

النخبة .. (صفوة المجتمع) أو بتعبيره « الأقليات الذكية« ، والتي « ينبغي عليها الاستفادة من البروباغندا (الدعاية) استفادة مستمرة ومنهجية« !

وما فائدة هذا التلاعب؟

فائدته أن تقوم الجماهير بـ « إلقاء قوتها في الاتجاه المرغوب » .. أي تنفيذ توجهات سياسة الدولة ممثلة في نخبة محدودة أو « أقلية ذكية »!

و مثل بيرنز آمن كاهن المحافظين الجدد « ليو شتراوس »و غيره بضرورة استخدام « الكذبة النبيلة» و تعني أن تقوم النخبة بخداع الشعب « الجماهير المغفلة » كي تحقق الأهداف السامية النبيلة! وهو تعريف أفلاطوني أصلاً لكنه مكون رئيسي في العقيدة الديمقراطية ..

هكذا يحل للنخبة المتحكمة حقاً أو ما سميناه سابقاً « مجلس شورى الحكم » العالمي التلاعب في عقول وتوجهات شعوب الدول الصغرى التي أدخلت نفسها بسعادة في آتون الديمقراطية بالمفهوم الغربي (الأميركي تحديداً) كي تظن أنها حصلت على حريتها واستقلالية قراراتها بكل وسائل الخداع الممكنة .. لماذا؟ لتنفيذ « الغرض النبيل » طبعاً والمتمثل في بقاء هذا المجلس العالمي الذي يقود وطنك كما هو بلا تهديد! هكذا تصبح الديمقراطية ملكاً جبرياً آخر أقل قمعاً لكن أكثر بريقاً وخداعاً وكذباً ..

إن الديمقراطية هي فن استخدام الكذب والخداع لتضليل الأمم

عن الحكام الحقيقيين .. وهي فن لأنها تستخدم أدوات التمثيل والرسم والنحت والأدب وغير ذلك من أنواع صناعة البهجة ببريق الحرية الزائفة المريحة .. هي ملك جبري يعتمد على الخداع لا القهر كوسيلة تمكن ..

لكن كيف يتم استبدال (المُلك الجبري القمعي) بالـ (مُلك الجبري الديمقراطي)؟

إذا كانت الأجهزة الأمنية هي جهاز الترشيد الرئيسي في الملك القمعي، فالإعلام هو بديلها في الملك الديمقراطي .. ولا يمكن فهم الديمقراطية حقاً إلا بفهم دور الإعلام بداخلها ..

(٢) دور التجزيئية والفورية في الملك الجبري الديمقراطي

فلتتأمل هذه الأخبار المتتالية التي تعرض خلال لحظات قليلة للمواطن :

خبر « صدور قانون (س) للمساعدة في ضبط المسألة الفلانية »

خبر « ثورة كبيرة رداً على قانون (س) »

خبر « مسيرات رداً على قانون (س) ».

خبر « حادثة في طريق (ص) ».

خبر « السياسي (ع) يستنكر أقوال (م) ».

أخبار متتالية فورية .. آلاف الأحداث المتعاقبة بلا توقف .. أحداث في مدينة معينة .. أحداث ساخنة في البرلمان .. الرئاسة تصنع مشكلة .. انقلاب قطار .. حادثة اغتصاب ..

الإعلام ينقل الأحداث باستمرار .. يقوم بتقديم تفسير سريع جداً لكل حادثة على حدة ثم ينتقل إلى الأمر التالي بلا توقف ..

مشهد جنوني مشتبك متتالي يعيش المسلم غير قادر على ملاحقته لفرط سرعته ..

هذه هي (الفورية) وتعني نقل أخبار فورية سريعة بصورة جنونية ولا تتوقف .. بينما (التجزيئية) وتعني تقسيم الأخبار إلى قطع صغيرة لكل منها تفسير بسيط سريع يُنسى بسرعة البرق ثم يتم الانتقال إلى ما يليه من خبر (فوري) له تفسير (تجزيئي) .

يعتبر الناقد الأميركي هربرت شيلر أن (التجزيئية والفورية) هما من أشد أساليب وسائل الإعلام وطأة في تضليل الأمريكان .. وهما مستخدمتان على نطاق واسع في الأنظمة الديمقراطية (أنظمة وسائل الأمن الإعلامي)!

ما نتيجة هاتان السياستان الإعلاميتان؟ إنه المواطن السلبي الضائع .. مواطن غير قادر على الحصول على تفسير منطقي وصورة (كلية) حقيقية للمشهد السياسي الجاري أمامه .. أخبار كثيرة جداً لا يتم تقديم رابط معقول بينها تتركه حائراً مشتتاً ..

لكن ماذا إذا رغبت وسائل الإعلام في توجيهه في لحظة ما إلى قضية معينة بنفس هاتان السياستان؟ إنها تنجح بشدة وقتها لأن المواطن فجأة يجد تفسيراً يريحه أخيراً من سلبيته وعدم فهمه!

مثلاً تم استخدام هذه الوسيلة التوجيهية قبل الحرب الثانية الانتقامية على الشيشان في نهاية التسعينيات .. يمكن اعتبار روسيا وقتها كانت أكثر (انفتاحاً وديمقراطية) من الاتحاد السوفيتي القديم .. روسيا ما بعد البروسترويكا والجلاسنوست بالتأكيد مختلفة بشكل ما .. لهذا تم استخدام وسيلة إعلامية من وسائل (الأمن الإعلامي الديمقراطي)!

فجأة حدثت تفجيرات للأبنية الروسية .. اختطاف للمواطنين .. قتل للبعض ..

عشرات الحوادث التي انفجرت في روسيا راحت تتابع وتتالى كالنافورة في وسائل الإعلام مما أصاب المواطنين بالجنون والذعر .. في النهاية قدمت وسائل الإعلام كبش الفداء المطلوب ذبحه : إنهم الشيشانيون البربر الأوغاد! فجأة أصبحت تلك الجمهورية الصغيرة التي لا تملك على أرضها مليوني مواطن هي مصدر الرعب والهلع للدب الروسي الضخم .. هلع وصل حتى قلب الدب .. موسكو نفسها!

صدق المواطنون طبعاً وكان لابد أن يصدقوا فالحملة الإعلامية كانت كبيرة وناجحة .. ثم بدأت حرب الإبادة الروسية للشيشانيين التي قُتل فيها عشرات الآلاف من المسلمين بمباركة

الشعب الروسي المُضلل .. طبعاً انكشف بعد هذا -بسبب سيولة روسيا في هذا الوقت- أن أكثر الحوادث الإرهابية كانت من تدبير الكي جي بي لدرجة أنه عند اختطاف الفرنسي «فنسنت كوشيتل» ممثل مدير هيئة الإغاثة بالأمم المتحدة -وهو الاختطاف الذي ألصقه الكي جي بي بالشيشانيين كالمعتاد- لم يضيع الفرنسيون وقتهم مع هذا الكذب الفارغ وتحدثوا مع الروس مباشرة إلى درجة تدخل الرئيس الفرنسي جاك شيراك بنفسه لينجح في الإفراج عن مواطنه في النهاية من قبضة الروس!

إذن «التجزيئية والفورية» تُستخدمان طوال الوقت في الأنظمة الغير معتمدة على «الأمن القمعي» كوسيلة أساسية لجعل الشعب مُضللاً تائهاً سلبياً لا يُدرك حقيقة الصورة الكلية لبلده .. هذا في وقت السلم .. أما في وقت الرغبة في تحقيق هدف ما يتم استخدامهما أيضاً بصورة تُزيد من تضليل المواطن كي يُشارك في الإيمان بأهداف «السادة السياسيين»!

وهي وإن كانت مستخدمة في الشعوب المقموعة بالديكتاتورية فالفارق واضح في كون الإعلام الديكتاتوري أقل احترافية وتنوعاً وبالتالي أقل في البريق الزائف مما يسهل من عملية كشف خداعه ..

فهل مسلمي عرب ما بعد الثورات في ظل بعض الدول التي اعتمدت النظام الديمقراطي بعيدين عن هذا؟

ألا تستخدم كلاً من « الفورية والتجزيئية » على نطاق سياسي واسع لتضليله؟

بل ألا تعتمد الأنظمة الديمقراطية نفسها على هذه « الفورية والتجزيئية » لكافة القضايا فيضيع المسلمون لأيام في مناقشات سفسطائية على قوانين بسيطة فارغة؟!

كانت الشعوب المسلمة تلو الثورات -كما في حالتي تونس ومصر- قد بدأت تنتفض مطالبة بالشريعة كمطلب واضح جداً .. الملايين تحركت في لحظة ما فماذا حدث بعدها؟

التجزيئية والفورية .. عشرات المواقف المتتالية وعشرات المخاطر التي ما إن ينتهي المسلم من عبور إحداها حتى يجد الأخرى تحاول دهمه .. قانون معين سيشكل خطراً مستقبلياً .. نقاش في وسائل الإعلام عن قضية معينة تشكل خطراً على المسلمين .. تحركات سياسية تهدد طوال الوقت المطالبين بالشريعة .. وعود فانتخابات فوعود فانتخابات ثم وعود فانتخابات أخرى!

حوادث جزئية ومخاطر متتالية يتم نقلها بصورة فورية لخلق هلع دائم وانتصارات خادعة يتم اكتشاف زيفها فيما بعد فتُزيد من سلبية المسلم اليائس من هذا التلاعب .. انه غير قادر على تكوين صورة كليه كاملة للموقف بسبب تتابع الأحداث ونقل الإعلام لها مباشرة بصورة فورية .. هكذا يقاتل في معارك جزئية فور ظهورها تلهيه طوال الوقت عما يحدث حقاً في الصورة الكلية للدولة والأمة .. ثم وقت الحاجة يتم عمل تضليل كبير له برسم معسكرات وهمية متنافسة في (المسار الديمقراطي) ليختار أحدهما بينما الصورة الكلية توضح أن المعسكرات كلها لهما نفس الناتج النهائي وذات المصير من حيث تحقيق مصالح (هيئة الحاكمين العليا) أو (مجلس الشورى العالمي) ..

القارئ لكل هذا قد يهز رأسه في فهم وحماسة لكن المشكلة الحقيقية أنه مع تنوع المخاطر وجاذبية وسائل الإعلام الديمقراطية فانه سينشغل لا محالة بعد وقت قصير بمئات الأخبار (الفورية) ليعيش أسيراً مرة أخرى في قفص (التجزيئية) عاجزاً عن إبصار الصورة الكلية! عاجزاً عن رؤية واقعه الحقيقي، وبالتالي عاجز عن رؤية حدوده المرسومة بدقة!

(٣) محو حدود الواقع

« القدرة على رسم حدود الواقع هي القدرة على السيطرة »!

هذه الجملة العميقة الذكية التي قالها جيري روبين (الناشط الثوري الأمريكي) منذ زمن لو تم استيعابها جيداً لسهل فهم السياسة العالمية في مسألة الديمقراطية المُقدمة لدول العالم الثالث بشكل عام وعالم ما بعد الثورات العربية المسلم بشكل خاص .. وليس في الأمر نظرية مؤامرة ضد المسلمين بشكل خاص، فالأمريكان مثلاً يستخدمون نفس هذا المبدأ في تضليل شعبهم نفسه! (لا أمر شخصي في الموضوع إنما هو عمل يا صديق) كما يقول المثل الأمريكي البراجماتي!

إن حدود واقعك في الديمقراطية سيكون تشكيل أحزاب .. ولوج العملية السياسية .. تقديم تنازلات تعزز فرصتك كمرشح يرضى عنه مجلس شورى الحكم .. الوصول لمكتب مجلس الشورى للجلوس سنوات أربع لابد أن تُبدي فيها الأدب والطاعة كي

يتم التجديد لك! ثم تخرج لتُفسح المجال لغيرك بعد انتهاء مدتك!

يؤمن البعض أنه لن يتنازل أبداً .. لكن الحقيقة أن الدخول إلى لعبة أطرافها معروفة جداً كهذه هو تنازل كبير في حد ذاته .. فبينما قد يُعذر حزب آخر مُغفل بعدم درايته بأطراف اللعبة وحقيقة مجلس الشورى الحاكم .. يبدو هذا الاعتذار واهياً بالنسبة لمن يعرف كافة الأطراف ويُصر برغم ذلك على الاشتراك فيها ..

طبعاً لا يوجد شيء اسمه الحتمية في مثل تلك المسائل .. الله وحده علام الغيوب وقد ينصر أناساً تظهر يقينك في فشلهم .. التاريخ الإسلامي فيه عشرات الأمثلة لأناس لم يكونوا بنفس النقاء العقائدي لأشخاص آخرين ومع ذلك جعل الله النصر على أيديهم .. لقد فشل صحابة ومجاهدين أتقياء في فتح القسطنطينية ونجح في فتحها رجل آخر في جيشه التباس ببدع .. لا توجد حتمية تاريخية حقيقية تسمح باليقين في فشل أو نجاح أي مسار ..

لكن هل يعني ذلك أن تسمح لنفسك بأن يتلاعب بك (الآخر)؟ أن تسمح لنفسك بعدم كسر حدود الواقع المرسوم وبالتالي عدم الخروج من سيطرته؟

لقد قامت الثورة الإيرانية الناجحة بعمل شيء جنوني بينما البلد

هشة واهنة .. لقد نفذت اقتحاماً شجاعاً للسفارة الأمريكية فشغلت الأمريكان بأنفسهم وبمعتقليهم عن تدبير المؤامرات الكبرى المحطمة للدولة في هذه المرحلة السائلة والخطيرة من عمر ثورتها .. بالتالي قطعت يد القوى العالمية المتلاعبة أو على الأقل أصابتها بعجز مؤقت .. رفض الإيرانيون مُبكراً جداً أن يكون حاكمهم المُختار مُجرد عضو ذليل في مجلس الشورى العالمي، خاصة بعد أن كانوا قد قتلوا قادة الجيش وأذابوه فلم يعد لديهم سوى هيئة حكم واحدة منهم .. صحيح أن أمريكا عاقبتهم فيما بعد بتحفيز صدام على الهجوم لكن إيران صمدت وخرجت في النهاية أقوى وأكثر استقلالاً ..لقد تعلم الإيرانيون من درس مصدق والشاه القديم وغباء التعامل مع الأمريكان بلين ..

أما صمود البلاشفة السوفييت العجيب في وجه جيوش الأرض وأعدائهم الداخليين، راضين بالتضحية بأنفسهم وبملايين الروس من أجل نموذج اعتقدوه هو (اليوتوبيا) الأرضية التي تحكم فيها البروليتاريا الفقيرة فهو مما يثير التعجب ..

لماذا يصمد السوفييت الفقراء الضعفاء من أجل تحقيق حلمهم المادي الفاسد أمام حرب أهلية وغزو من بريطانيا وأمريكا وألمانيا

واليابان وتشيكوسلوفاكيا وفرنسا وصربيا واليونان وايطاليا والصين بينما نخاف نحن من مجرد حرب مع دولة ضعيفة هشة مثل إسرائيل؟ هل تهددنا بالإبادة النووية؟ هل يخاف المسلمون حقاً الموت في سبيل الله؟ كيف يخاف المسلمون الموت النووي بينما لم يخشاه الفيتناميون في صراعهم مع الأمريكان؟ كيف يخاف المسلمون الإبادة والجوع وقد صمد من لا يؤمن بإله مثل البلاشفة الحمر في وجه كل العالم بصمود وتمنوا الموت بلا خوف ولا وجل؟ كيف استطاع هتلر إقناع شعبه بأن لا سبيل للرضوخ أكثر من هذا للإذلال الأوروبي وأن الموت الكريم في سبيل الاستقلال أفضل من العيش الذليل تحت جناح التبعية؟ كيف استطاع هؤلاء الصمود هكذا مهما كانت التضحيات الشعبية بينما المسلمون والمطالبون بالشريعة من أهل الساسة يخافون اللعب «خارج حدود الواقع المرسوم» كيلا يصيبهم ويصيب شعوبهم الأذى؟

أما إن كان سعيك للدخول في الديمقراطية هو مجرد رغبة في التحرك داخل إطار (المنظومة العالمية) التي تسيطر عليها القوى الكبرى، فما هو أكبر آمالك من تبنيك للديمقراطية والتحرك داخل هذه المنظومة؟ أن تصبح إمبراطوراً على عدة بلاد؟

هذا حدث يوماً -صدق أو لا تصدق- وكان هناك حاكم له ما يشبه الإمبراطورية الممتدة عبر قارتين .. هو سلطان عمان وزنجبار .. السلطان سعيد البوسعيد ..

هذا الرجل قام ببناء إمبراطورية أفريقية آسيوية تمتد من ممباسة حتى مشارف الهند .. لكنها تحت (الرعاية) و(التفاهمات) البريطانية .. أي القوة العظمى الأكبر وقتها ..

لكن من بناه هم من هدموا بناءه .. هم من تآمروا على ورثته وقسموا امبراطوريته ثم قاموا بغزوها ..

اللعب بقواعد (القوة الكبرى) ليس حكمة .. الظن بأنه من الممكن خداع هذا النظام بالانضواء تحت لواءه هو سذاجة منقطعة النظير قبل أن تكون خيانة لله وللأمة .. هذا نظام قصم ظهر هتلر واليابان قبلاً فكيف تظن نفسك مخادعه؟ كيف تظنه بهذا السذاجة؟!

لابد للشباب المسلم أن يفهم أولاً زيف الأنظمة الديمقراطية في الغرب عامة وفي دول العالم الثالث والإسلامي خاصة .. أن يتعرف جيداً على حدود الواقع المرسوم محاولاً الخروج من نطاقها بطرح حلول أخرى تهدم التبعية وتهدم الزيف .. أن يأخذ بنصيحة

نيكسون الرئيس الأمريكي الشهيرة « عندما تخسر باستمرار عليك أن تغير قواعد اللعبة » .. نعم، عليه السعي لتغيير قواعد اللعبة كلها أساساً .. وفوق كل ذلك .. أن يبدي مهارة في صنع نموذج واضح لتفكيك أكذوبة الديمقراطية .. ولكن مع الحرص على ألا يستسلم، فالنظام الديمقراطي معتمد على التنويم الشعبي والإيحاء القوي والتضليل المستمر وقد أثبت الواقع أنه أصعب في الهدم من النظام القمعي الديكتاتوري .. على أن يحرص على ألا ينتابه الكِبر فيهاجم بضراوة الإسلامي الآخر الغارق في محاولة كسر الواقع الجبري بفلسفات أخرى .. لا أحد يعلم يقيناً هوية من سينجح في النهاية .. لكن الأكيد أن المتنازل عن دينه لن ينقل المسلمين إلى المرحلة الأخيرة من الحديث النبوي الشهير .. لن ينقلنا إلى ما بعد الملك الجبري الديمقراطي .. لن يهدم أوثان حاضره الكبرى .. فكيف يهدي أهل عبادة الأوثان من يعترف بها كواقع؟!

إن الديمقراطية وغيرها سواء مادام الحاكم شريراً مبتعداً عن الوحي، فكل نظام للحكم مهما كان يبدو مثالياً لابد من أن ينجح

شر ا?نسان الحاكم في الالتفاف عليه، فلو كان الشعب هو من سيختار حكامه فسيتلاعب الشر بعقول غالبيته ليزين لهم الباطل ممثلاً في ا?يمان بحتمية استمرار الحاكم الطاغية، وإن كانت نخبة بيدها الشورى فليتلاعب الشر بهذه النخبة ليتخلص من معانديها ثم يفرض الترغيب والترهيب علي الباقي ليسبح كل منهم بحمد حاكمه ..

و في كليهما يستخدم الفرعون (سحرته) إما لسحر أعين الناس، أو لتعزيز شرعيته ..

(٤) الديمقراطية ... رأسمالية أميركية بالمضمون

و يتبقى سؤال هام في النقد السابق للديمقراطية :

لماذا يرتكز النقد المستمر لها على ملامحها ووسائلها في الولايات المتحدة الأمريكية بالذات؟ ألا توجد أشكال أخرى لها من الممكن تطبيقها تتلافى العيوب الأمريكية؟ ثم لماذا الربط بينها وبين الرأسمالية؟

والحقيقة أن الديمقراطية المتعارف عليها عالميا الان هي المستوحاة من النموذج الأميركي، وما ترك المسلمون للشورى إلا رغبة في محاكاة هذا النموذج بالذات، فلا يوجد تعريف واضح لها يمكن الرجوع إليه لفصل التجربة التاريخية عن المعتقد الديمقراطي، الديمقراطية هي نفسها تجربة تاريخية، والتجربة التاريخية الناجحة حالياً هي الأمريكية، ولا أميركا دون رأسمالية .. والأمريكان يدركون ذلك، فهذا واحد من كبار المعلقين

السياسيين الأمريكان يكتب في النيويورك تايمز بعد نهاية الحرب الباردة « انتصار أميركا في الحرب الباردة كان انتصاراً لجملة من المبادئ السياسية والاقتصادية هي الديمقراطية والسوق الحرة، وهي مبادئ التوجيه للمستقبل حيث تكون له أميركا الحارس والنموذج المحتذي على السواء » و كما قال كلينتون من قبل « مهمتنا الجديدة هي تعزيز انتصار الديمقراطية والأسواق المفتوحة » ..

الأمريكان يدركون أنهم النموذج المهيمن عالمياً وبالتالي يفرضون نموذجهم الديمقراطي الرأسمالي على الجميع ما أمكن خاصة الدول الصغرى التي لن تنجو من المسير في الركب وإلا العقاب ..

لهذا فإن نقد الديمقراطية لا يكون واقعياً إلا بانتقاد النموذج الأميركي الرأسمالي التضليلي .. هو طرد يسلم للمرسل إليه كما هو!

والرأسمالية دين شبه كامل حتى بمفاهيم الولاء الخاصة به والبراءة ممن لا يتبعه، ولا تفسير لاندماج رجال أعمال عرب في المنظومة الغربية، مثل امتلاك رجال أعمال خليجيين لأندية ومؤسسات أوروبية ليست صغيرة، وإمبراطورية الوليد وغيره .. مع

أنهم -نظرياً- يتبعون الديانة الإسلامية ومعروف حجم العداء الغربي لهذه الديانة بالذات، إلا أن هؤلاء قد تبعوا الدين الرأسمالي بشكله الديمقراطي .. فأصبح دينهم مركب تقبع الرأسمالية الديمقراطية كمكون رئيسي فيه واقتصر الإسلام على جزء ضئيل من العبادات الظاهرية الحياتية أو ربما حتى رداء عربي تراثي!

إن النظام العالمي ممثل في أميركا أولاً يقبل كل من يعتنق هذا الدين بعد الاطمئنان على موافقة ظاهره لباطنه تماماً .. وما محاولة أنظمة الحكم العربية (الديمقراطية) الاندماج في هذا الدين لتنجح طالما لم يتأكد الغرب تماماً من أنها نزعت إسلامها من النفوس وأصبحت مؤمنة تماماً بدينه المركب ..

وأعظم نقاط التقاطع بين أطروحات المسيري وشومسكي وغيرهما هو الاتفاق في مسألة الرؤية للفارق بين النظم الاشتراكية القمعية والنظم الرأسمالية الديمقراطية ..

بينما تدور أغلب كتابات شومسكي في توضيح أن الديمقراطية الغربية تستخدم الإعلام بديلاً عن الشرطة السرية القمعية في النظم الشيوعية، مصراً بإلحاح على فكرته .. يقول المسيري هو الآخر

« لعل الاختلاف الوحيد بين النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي أن اليد الخفية تستخدم الإعلانات التليفزيونية (الخفية) لإقناع الجماهير، أما لجان الحزب فتستخدم الشرطة السرية (الخفية العلنية) لتطويع الجماهير .. وبطبيعة الحال ثمة فارق جوهري بين إعلانات التليفزيون ذات الأثر الجواني والشرطة السرية ذات الأثر البراني. ولكن الهدف من هذه الآليات المخلفة واحد، وهو سيادة القانون العام على الإنسان » ..

إن النظام الديمقراطي نفسه يعتمد على جعل الشعب يغوص في إعلانات المرشحين ولا يكاد يفيق من دوامة انتخابات حتى تتلوها انتخابات أخرى .. النظام الديمقراطي لابد بالضرورة امتلاكه لطبيعة رأسمالية .. فينتصر الأكثر تنظيماً لدعايته وصورته لا الأكثر إستحقاقاً بالضرورة ..

الباب الثاني

مجتمع الراشدين

(١) الوطن الأصلي

خبر سيئ!

وطنك لن يفلت أبداً من الهيمنة العالمية!

وإن أفلت فقد لا يتحمل العقوبات وأذى العباد!

هذه حقيقة ..

❁ ❁ ❁

ما وطنك؟!

لا يهم!

أي وطن إسلامي بالمفهوم الحديث!

نعم لا توجد بلد إسلامية تملك قرارها .. ولن توجد أبداً .. طالما ظل المسلمون يتحركون بمفاهيم (الدولة الحديثة) التي من أسسها بناء حدود مغلقة على نفسها والقومية أو الوطنية التي تُميز شعباً إسلامياً عن الآخر!

قد يبدو هذا كلاماً غريباً .. لكن لماذا لا نتأمل قليلاً من

الواقع والتاريخ؟

لابد لأي دولة إما أن تقع في مجال نطاق هيمنة مخالفة، أو تصنع هي لنفسها هيمنتها الخاصة على الآخر، لا يوجد حل ثالث لأن هذه هي الطبيعة البشرية التنافسية منذ بداية الخلق .. بل والمدهش أن الله سبحانه وتعالى اعتبر تلك التنافسية ميزة كبرى هي من فضل الله لأنها تحفظ الأرض والبشرية (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) .. هذه الروح التنافسية المُسماة (سُنة التدافع) يؤمن بها حتى بعض كبار فلاسفة الغرب ومؤرخيهم .. فلسفة هيجل التاريخية مثلاً قائمة على صراع الأفكار والتحدي الذي يسبب الانفعال الكافي لتطور الحضارات .. آرنولد توينبي المؤرخ الفلسفي الشهير نظريته بعضها قائم على صراع الأقلية والنخب الصاعدة الشابة والتحديات القائمة أمام كل أمة محفزة إياها للعبور .. كلاهما قام بتقديم تفسيرات متطابقة إلى شكل كبير مع الآية القرآنية المذكورة .. كلاهما لم يستطع أن يُنكر تلك السنة الكونية في أن كل ما ركد وسكن ذبل واندثر .. وكل ما ماج بالأفكار والتنافس والتحدي تقدم في جانب حضاري بشكل أو بآخر ..

فالحرب العالمية الثانية التي مثلت ذروة التنافس والصراع في التاريخ دفعت التقدم المعرفي والتكنولوجي عشرات السنوات للأمام! لقد كان التنافس هنا على حياة أو موت فأبدع كل طرف كي يخترع ما يحميه ويهزم منافسه .. ارتفع سقف التحدي والخطر فارتفع سقف المنتج المعرفي والتكنولوجي ..

كذلك يمكننا النظر إلى ذلك الصراع والتنافس في حلبة علوم الميكروبات بين كلاً من باستير وكوخ .. وبين كلاً منهما وعلماء بلده ..

فكل واحد منهم كان يقاتل من أجل إثبات صحة أفكاره وتصوراته وتجاربه وهيمنة النموذج المعرفي الذي يقدمه على الآخرين الذين ينافسونه .. وهو ما جعل علوم الميكروبات تتقدم بصورة هائلة في ذلك الزمن القديم ..

إذن فلابد من تدافع .. لابد من وجود هيمنة سواء بالسلب أو الإيجاب .. إما أن يؤثر وطنك فيمن حوله فيصبح الوطن المهيمن أو يتأثر بهم فيصبح الوطن المهيمن عليه ..

فما هو مفهوم الدولة الحديثة؟ وهل هو نفس الوطن المسلم الأكبر الذي قدمه الأبطال الأوائل كنموذج في (الدولة الإسلامية النبوية الراشدية) ؟

إن بلدك الحديثة المحدودة الصغيرة هي النموذج الحداثي الذي اعتمده الغرب وفرضه عليك يوماً ما منذ مائة عام أو يزيد .. نعم جلس هذا الفرنسي والإنجليزي والهولندي والبرتغالي وغيرهم يخططون حدود الدول الإسلامية الواقعة تحت هيمنتهم .. قد لا تُصدق أن هذه القرية الموجودة في البلد المجاور لك والتي بينك وبينها عداوة مخيفة ، كانت طوال تاريخها تعتبر جزءاً من بلدك! وأن هؤلاء القوم الذي يقف جندي حرس الحدود كالديدبان يدافع عنهم ضد هجمات الدولة المجاورة، قد كانوا - طوال التاريخ - أعداءك ولم يعترفوا بك يوماً قبل أن يجلس النادي الغربي مع بعضه للتقسيم !

هذه المهزلة التي نشأت على إثرها أغلب الدول الكبرى الإسلامية الحديثة ومنها اتفاقية (سيكس - بيكو) تحمل في نطاقها فلسفة التقدم الحداثية عند بعض أتباع الفكر الفلسفي الغربي، ففي رأيهم أنه من الضروري أن يكون لكل دولة نطاق مادي محدود، وبداخل هذا النطاق شعب لابد أن ينتقل من حالة (الحركة والتنقل) إلى حالة (الثبات والسكون) كي يقوم بإنشاء المدن والعمران .. ولابد إذن من وضع مُلصق تعريفي لهذا الشعب كي لا يدخل عليه عنصر أجنبي قد يرغب في الهدم ..

هكذا نشأت (المدنية) الحديثة .. (الحدود بين الدول) الحديثة .. (المواطنة) الحديثة ..

وأحد أبرز مفاهيم الدولة الحداثية تلك تتجلى في مسألة ربط الشعب الموجود على أرض ما بهذه الأرض .. فينشأ (الوطن) المادي المحدود .. لن يعد بمقدورك أبداً تجاوزه لأن الوطن المجاور ليس ملكك ولا تنتمي له! يندمج مفهوما الدولة المؤسساتية بالوطن الأممي ..

هكذا أصبح هناك (ولاء) للوطن و(براء) من الأوطان المجاورة .. هكذا انتهى نموذج الوطن المسلم الأكبر وانتهى بصورة قانونية تماماً مفهوم (الدولة الإسلامية النبوية الراشدية) .. فإن كان المسلمون قد تمزقوا قبل الغزو الغربي الحديث بين ممالك إسلامية متنافسة .. إلا أنه دائماً لم يكن أي منهم ينظر بجدية لمسألة التقسيم إلى (أوطان) متعددة متنافسة لا رابط بينها يعلو فوق رابط الأرض الداخلي .. من الممكن أن تكون اليوم تابع للمماليك المسلمين وغداً تابع للعثمانيين المسلمين .. فلا تفرقة بين مسلم وآخر ولا رابط وملكية أبدية لقوم ما لأرض محددة في نطاق (الوطن الإسلامي الأكبر) .. وهو وطن متجاوز لحدود المادة وبالتالي

لا يمكن وضع قيود أو حدود عليه .. وهذا لا يتنافي مع تكون (الدولة) في نفس الوقت .. نعم هناك دولة مؤسساتية تدير الشئون لكن هناك كذلك وطن لا حدود له ..

كان هذا هو الواقع الأغلب حتى تم شرعنة وتقنين الدولة الحديثة بأيدي الغرب ثم مواليه عندنا ..

إن الدولة الحديثة بكافة قيمها ومفاهيمها نموذج مناسب جداً جداً لتفتيت الهيمنة الإسلامية .. لأن التقسيم يصنع أوطاناً صغيرة متعددة منكرة لمسألة الوطن الإسلامي الأكبر.. فأصبح يكفي جداً تهييج النعرات الوطنية المختلفة لصنع حالة من الاحتقان المستمر تمنع أي مشاركة لهذه الأوطان مع بعضها البعض في وحدة كبرى متجاوزة للإطار المادي المصنوع على شكل حدود ووطن .. هكذا يمكن أن تطبق الحكمة القديمة (فرق واحكم Divide and rule) ..

وبرغم سوءات ملوك الدول الإسلامية المتعاقبة تاريخياً من ملك عضوض إلى ملك جبري، إلا أنهم كانوا بشكل عام يتجاهلون مسألة التشدد في مزج مفهوم دولتهم بالوطن المسلم .. اللهم إلا مراحل قصيرة لكنها لم تكن عامة ولم يكن هناك شرعنة وتنظير لهذا

التقسيم لوطن المسلمين كما هو حادث الآن ..

ولتعزيز هذا الإطار أيضاً يمكننا أن نذكر مقولة ذلك المفكر الأنجليزي « إننا في كل دولة دخلناها بحثنا بهمة مجنونة عن آثار حضارات ما قبل الإسلام .. فإذا استطعنا إبراز عظمة تلك الحضارات السابقة عليه استطعنا ربط الشعوب بها ونسيان الروابط التاريخية الإسلامية »..

وبالتالي يصبح من السهل تفسير ذلك النهم الإنجليزي والفرنسي لاستخراج حضارات الفراعنة وآشور وغيرهما مما سبق الإسلام من حضارات ..

إن عدد الأفلام والقصص والروايات التي قامت على هذا الأمر أكبر من أن لا يلحظها أي منا ..

فالربط بحضارات ما قبل الإسلام يخدم مشروع (الوطن الحداثي) المحدود والمغلق ويعزز من شعور كل مواطن باعتزازه ببلده وتفوق حضارتها (الفرعونية / الآشورية / الفينيقية / القرطاجية / عرب ما قبل الإسلام / البيزنطية / الهندية) على حضارات المسلمين الآخرين ..

إذن فلماذا قام الغرب ببناء دول حداثية عنده؟

الدولة الحداثية عندهم مهمة فعلاً لوأد كثير من الصراعات الأوربية الداخلية الصغرى .. لكن هناك مع ذلك رابط خفي لا يوجد عند المسلمين حالياً بعدما تخلصوا منه .. هو رابط نظرة الرجل الأوروبي الأبيض لنفسه على أنه من نطاق ذو خلفية حضارية مسيحية صمدت في وجه الآخرين المتوحشين وهي أرقى منهم بما لا يقاس .. يمكنك دائماً أن تُبرز صراع فرنسا مع إنجلترا أو ألمانيا مع فرنسا أو حتى ألمانيا مع روسيا .. لكن ما لا يُمكنك إغفاله أن هذا الصراع يختفي إذا واجههم تهديد حقيقي وخطير من (الأقوام الهمجية) سواء كانوا المسلمين أو غيرهم!

يُمكن لألمانيا أن تتحالف في الحرب العالمية الأولى مع المسلمين العثمانيين لضرب المستعمرات الإنجليزية .. لكن ماذا كان سيحدث إن جرب العثمانيون يوماً مجرد محاولة لغزو إنجلترا أعدى أعداء ألمانيا وقتها؟

ألم تكن ألمانيا لتنقلب حليفٌ في التو واللحظة لإنجلترا ضد العثمانيين (المسلمين الهمجيين)!

نعم يمكنهم السماح بمشاركتك أيها المسلم في صراعاتهم طالما لا تهدد أي من (أعضاء النادي) تهديداً حقيقياً .. فإن تجاوزت قدرك

كخادم وتابع وتجرأت على أحدهم طارت العداوات ومفاهيم الحداثة وارتدوا عدة قرون للوراء وتقمصتهم جميعاً روح ريتشارد قلب الأسد!

هم يملكون إيمان كامن مهيمن بأن أوروبا والغرب عامة وطن متجاوز تتلاشى الحقوق بينه إن هدده خطر من أمة أخرى .. عندما يقول ديجول إن (أوروبا وطن من الأورال إلى الأطلنطي) فهو يوضح بكل صراحة أنهم وطن واحد متجاوز للحدود والمادة .. هذا الوطن أنبأتنا أحاديث آخر الزمان أنه مهما بدا متنافساً فسيتحد ضد وطن المسلمين ويقاتلهم كوطن غربي واحد ..

لكن .. هل هم يقومون باحترام مفاهيم (الدولة الوطنية الحديثة)؟

أبداً .. الغريب أنهم يقومون بسحق عشرات الدول الأخرى ويطلقون عليها ألقاب تحقير مثل (العالم الثالث - الأجناس البربرية) ولا يرضون أبداً أن تخرج من نطاق نفوذهم وهيمنتهم سواء عن طريق الأسلوب العسكري الغاشم القديم والذي لا يُستخدم حديثاً إلا لضرورة بالغة .. أو عن طريق صنع جماعات وظيفية في كل دولة إسلامية وظيفتها هي (دفع الجزية) لهم بالخضوع الاقتصادي

و(الحفاظ على السلام العالمي) الذي هو سلام الغرب والغرب فقط !

إن إنجلترا ليست هي تلك الدولة الجزيرة المحدودة في غرب أوروبا .. إنها قوة مهيمنة منتشرة في عشرات الدول والمصارف والمؤسسات والجماعات الوظيفية الحاكمة باسمها عند المسلمين .. إنها حقاً وطن مهيمن على المسلمين .. أمريكا لا تقع أبداً خلف الأطلنطي .. أمريكا تقع على أغلب مساحة الكرة الأرضية .. أمريكا في سيارتي على شكل وقود .. أمريكا في جيب محفظتي على شكل بطاقة ائتمان .. أمريكا في عقلي على شكل عشرات الأفلام ..

إن الدولة الحديثة الوطنية المحدودة لا تصنع هيمنة .. هذا هو ما أدركه الأوربيون .. فمصادر الثروة والطاقة الموجودة بداخل نطاق كل وطن محدود لا تكفي لصنع هيمنة كافية، وكذلك صعوبة التحرك لرد عدوان البلاد البعيدة والحفاظ على النفوذ التجاري والدعوي لا يمكن صنعه في إطار الوطن المحدود ..

لهذا تحركوا وقاموا بالغزو هنا وهناك .. صنعوا إمبراطوريات لكل منها هيمنة خاصة .. صنعوا الإمبريالية وهي الجانب العملي الواقعي للدولة الحداثية المُستقلة .. فمن ناحية النظرية لديهم دولة ذات حدود (مادية) مع الجيران الأوروبيين.. لكن من الناحية

العملية حدودهم دائماً (متجاوزة للمادة) .. حدودهم قد تمتد إلى مصرف في ماليزيا بينما ماليزيا على بعد آلاف الأميال .. حدودهم قد تمتد لتشمل أوروبا كلها إذا جاء التهديد من خطر إسلامي .. حدودهم (الحديثة) لا وجود لها عندهم على أرض الواقع .. لا هيمنة أو استقلال في صنع القرار دون تجاهل لهذه الحدود المادية وكسرها .. حتى الولايات المتحدة التي تملك إمكانات قارة كاملة فهمت ضرورة كسر هذه الحدود فبعثت جيوشها في كل مكان على وجه الأرض .. سواء كانت حشود عسكرية أو حشود اقتصادية .. حتى اليابان لم تخرج من مظلتها ولا هي بقادرة على الانفراد بقرار جرئ مستقل تماماً ضدها حتى الآن ..

لابد من كسر هذه الحدود المادية .. لابد من كسر مفاهيم الدولة الحداثية .. الإسلام قدم لنا وطناً حقيقياً متجاوزاً اسمه الجنة وجعل حياتنا كلها هي رحلة العودة إليه .. رحلة من العبودية لله ودعوة الآخرين لمشاركتنا السبيل إلى الوطن المتجاوز، إلى الجنة الأخروية، رافعاً شعار الجهاد ضد قطاع طرق هذه الرحلة المحتومة وأولهم الشيطان نفسه .. أما الوطن المادي فضم كل من اتبع الطريق وسار فيه .. وهو وطن المسلمين الأرضي ..

إن المواطنة في الإسلام هي الانتماء لأرض المسلمين هذه في كل زمان ومكان .. نعم في الدنيا هي الأرض المادية الغير محدودة .. هي الأرض التي يُمكن صنع الهيمنة بها وبها فقط .. لن يستقل قرار المسلمين ولن تصبح أي دولة من دولهم قوة عظمى تناطح الآخرين إلا بعد كسر مفاهيم الحداثة الكاذبة وأولها الوطن الصغير ذو الحدود المادية ..

فليصبح وطن المسلمين الدنيوي هو أرض الإسلام .. جنسيتهم وهويتهم هي الإسلام .. شركائهم في الوطن هم المسلمون في كل زمان ومكان، وعدوهم هو كل معتدٍ على هذا الوطن ..

إن تم زرع هذا الفكر في كل مسلم ومسلمة سيصبح كسر عقيدة الحدود والأوطان الصغرى هين بسيط .. وقتها يصبح هناك أمل في وحدة الوطن المسلم الأكبر مرة أخرى ليستعيد حالة وطن الدولة الإسلامية الراشدة الكبرى الذي تتنوع فيه مصادر الثراء فيحافظ هذا الوطن على هيمنته على الآخرين .. ولا وطن واحد دون أن تجمعه لغة واحدة .. لغة القرآن الكريم .. فنشر إلزامية تعلم العربية لازم لصنع أقوى رابط يلحم الولايات المتناثرة ويقضي على أحد أهم وسائل بقاء القوميات المغلقة ..

(٢) لماذا لا يليق الإسلام مع الدولة الحداثية؟ ولماذا لا يتحد المسلمون؟

لنفترض مثلاً مصر المعاصرة كدولة حداثية محدودة تحوي شعباً عضوياً مربوطاً بالأرض التي تجمعه من سيناء إلى السلوم ومن الأسكندرية حتى النوبة .. إن رغبت هذه الدولة ممثلة في حكومتها - الآتية من الشعب لتحقق مصالحه - في امتلاك قرارها تماماً وجب عليها أن تقوم بصنع ما تريده من أساسيات وخاصة السلاح والطعام والطاقة .. فكيف يمكن لدولة حداثية محدودة مثل تلك أن تصنع هذا؟

لا يمكن إستخدام أسلوب الاندماج الكامل لأن المفهوم الحديث للدولة الوطنية جعل شعبها العضوي يبحث عن مصلحته هو فقط فوق الجميع .. ولن تندمج دولتان أو أكثر كل منهما تبحث عن مصلحتها الذاتية فقط فوق مصلحة الآخرين .. وبالتالي لن تجد هذه الدولة أمامه حلاً آخراً سوى أن تمتلك قوة كافية لغزو دولاً أخرى

تمدها بما يكفيها ويزيد على حاجتها من طعام ومصادر طاقة ويرفع صناعتها إلى المستوى المأمول .. فلا توجد أرض واحدة تحتوي كافة أنواع مصادر تأمين التحول لقوة عظمى .. بمعنى آخر أن غزو ليبيا أو الخليج يصبح ضرورة لتوفير مصدر هائل للطاقة وغزو السودان لا مفر منه لتوفير مصدر هائل للغذاء .. فإن صعب ذلك اضطرت تلك الدولة الحداثية مغلقة الحدود ذات الشعب العضوي إلى غزو دول أخرى أضعف تمهيداً لصنع قوة تسليحية كافية لغزو الدول المذكورة .. لابد أن تتحول تلك الدولة الحداثية إلى إمبريالية في حال أرادت امتلاك قرارها وحجز مكان مهيب في وسط الأمم .. فإن لم تفعل ورفعت شعار أخلاقيات عدم الاعتداء والتعايش مع الآخرين بلا سعي نحو مد النفوذ فستظل عاجزة عن مد نفسها بما يكفي للتطور الكبير .. وسيصبح أقصى أمانيها أن تصبح دولة (ناهضة) أو (نامية) تحقق رخاءً لمواطنيها لكن بلا أمن ولا استقرار حقيقي لأنها ستدور في فلك إحدى الإمبراطوريات الكبرى الأخرى لا محالة .. إن ظلت توافق تلك الإمبراطورية استمر الرخاء وإن جربت العصيان وجب عليها القحط والانهيار ..

لهذا كان صنع هيئة دولية مثل الأمم المتحدة بمثابة مراقب

على هذا التوازن القائم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، لأنه كان من الضروري أن يوضع مراقب على التزام (الدول الحداثية المحدودة والعضوية) بمفاهيم عدم الاعتداء والتعايش مع الآخر، مع رفض الاندماج بين الدول وتكريس الانقسام ما أمكن مستغلين في ذلك الطائفية والعرقية وغير ذلك من وسائل التقسيم المعروفة .. فلا يمكن لدولة حداثية صغرى مناوءة أن تتقدم لتتحول إلى دولة إمبريالية وهي تحت أعين الجميع ورقابتهم، فستسحقها الدول الكبرى سحقاً في لحظة مبكرة وحاسمة .. فإن لم ترغب في التحول لإمبريالية معتدية محاولة الاندماج مع من يحمل نفس مفاهيمها وقضاياها وربما عرقها، بصورة سلمية، لا تنجو وقتها أبداً - مادامت عاصية - من التقسيم والتفرقة المانعة لزيادة حجمها ومواردها ..

في المقابل تصنع الدول الأقطاب ما تشاء وتغزو المكان الذي تبتغيه في ظل توازنات وتفاهمات بين دول (نادي الإمبراطوريات) محدود الأعضاء!

و هذه الدولة الحداثية بهذا المفهوم مناوءة للإسلام، إن دين الله يجعل الرباط بين الجميع منفصل عن الأرض ملتصق بالعقيدة أولاً .. لا فارق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى .. المسلم للمسلم كالبنيان

المرصوص .. مسلم هندي هو أخ ومواطن لمسلم مصري وأمريكي .. يجمعهم وطن واحد هو أرض الإسلام التي يرفع فيها شعاره بوضوح .. هم جميعاً مواطنون وشعب واحد ..

بالتالي فمصلحة هذا الشعب المسلم لن تتحقق إلا بتوحده كله في وطن واحد أكبر .. وقتها يمتلك قراره ويواجه الآخرين ممن سيحاولون الاعتداء عليه وعلى عقيدته .. يزيد عن ذلك أنه في الإسلام لا إمبريالية حقيقية شبيهة بما عندهم حيث لن يطلب من الآخر سوى السلام والإذعان لدين الحق في ترك الدعاة والدعوة .. وهذا هو الفارق الحقيقي بين مادية الإمبريالية الغربية الباحثة عن النفع المادي أولاً ممثل في ثروات الأمم الأخرى لتحقيق مصلحة دنيوية وبين رغبة المسلمين في نشر الدعوة الإسلامية ودين الحق بين الأمم الأخرى فقط فإن وافق حاكم هذه الأمة حصل على الأمان .. بين من يغزو الأمم رغبة في الحصول على ثرواتها واستعبادها وبين من يغزو الأمم بدعوته متجاهلاً ثرواتها راغباً في الحصول على المثوبة الأخروية بإنقاذ أرواح الضالين وتحويل العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العالمين .. وهو فارق عظيم ..

لذا فوحدة وطن المسلمين الشاسع يمنحهم تلك القوة المادية

التي تعينهم على تنفيذ أوامر الله في تبليغ رسالته ودحر أعداءه وإرهابهم ..

إن كانت الإمبريالية هي المنتج الحتمي للدولة الحداثية مغلقة الحدود على شعب عضوي معين، والراغبة في التحول لقوة عظمى مالكة لقرارها مهيمنة على الآخر، والمهددة بالتحول إلى كائن عاجز مشلول في يد قوة أخرى أكبر، فنشر الدعوة الإسلامية بحرية هو المنتج الحتمي للوطن الإسلامي مفتوح الحدود المتحد الذي سيتحول إلى قوة مادية وروحية عظمى .. وطن مالك لقراره مهيمن على الآخر ..

و شتان الفارق بين المُنتجين ..

إذن لابد للمسلمين من هذا الوطن بلا جدال إن رغبوا في العودة كقوة عظمى مسئولة عن تطبيق أوامر الله ونواهيه وقيادة الدعوة وسط الأمم .. وذلك الوطن الغير محدود يمثل في دولة لها هيئات سياسية حاكمة واضحة مكونة له ..

(٢) المسلم كسلاح دمار شامل

فارق ضخم بين جيوش الدولة الإسلامية النبوية الراشدية، وبين جيوش ما تلى ذلك من دول في الوطن الإسلامي استمر مفهومها العسكري يتطور مُبتعدًا عن مبادئ اللحظة الأولى حتى الآن ..

لقد فسد الأمر عندما تحول (الجهاد) ذو الأهداف اللادنيوية في أصوله، الراغب في نصر يعزز دعوة الأُمة أو شهادة تعيد روحه إلى جنة الآخرة موطنه الأصلي .. تحول هذا الجهاد إلى (قتال) من أجل أهداف دنيوية بحتة في الأصول والفروع! قتال من أجل مغانم وأموال ونساء وتوسع جغرافي لا توسع دعوي!

ثم زاد الفساد عندما أصبح (القتال) حرفة يُتكسب منها ويتعيش بها فأصبح هناك (مقاتل) و(مدني) .. مملوك ومدني .. انكشاري ومدني .. شرطي ومدني .. جيش ومدني!

وتلى ذلك احتكار الحرفي (المقاتل) للسلاح وفنونه بصورة صارمة ..

ثم كانت النتيجة التالية منطقية للغاية : صاحب الحرفة (المقاتل) أصبح يفرض وجهة نظره بما يمتلكه من سلاح مادي ومعنوي على أي مدني مهما كانت قوته!

وبمرو الزمن ازداد صاحب الحرفة القتالية قوة ومهارة وتنوعت أسلحته كلما تقدم التاريخ حتى أصبح الحرفي الواحد من حاملي السلاح ومحتكريه قادراً على مواجهة وقتل ألف من المدنيين الذين تم تربيتهم بحزم على الرهبة من المسلحين وانعدام القدرة على حمل السلاح ..

هكذا أصبح انقسام المجتمع شديد الحسم ، ولم يعد من الممكن تجاوز هذه المعادلة المخيفة إلا بالعودة إلى نفس حالة أهل الوطن الإسلامي ممثلاً في الدولة النبوية الراشدية ..

وهي إزالة الفارق الشاسع بين ما هو مدني وعسكري .. إزالة تخصيص حرفة القتال وحصرها على فئة وجماعة وظيفية من الناس لتشريب المسلمين جميعاً روح الجهاد .. جعل الشعب المسلم كله كتلة عسكرية صعبة ليس بمقدور المحتلين كسرها .. ولا يمنع هذا أبداً تخصيص جزء صغير يتغير دورياً مكلف بقيادة الأسلحة الكبرى المتطلبة للاحترافية كالصواريخ والطائرات

وغيرهم .. مع الحرص على عدم تثبيتهم وعدم تحولهم إلى محتكرين محترفين ..

إننا إذا قمنا باستعادة حالة الإمبراطورية الإسلامية النبوية الراشدية في العلاقات الاجتماعية وبخاصة العلاقات (المدنية/ العسكرية) التي كانت سائلة وقتها .. يمكننا صنع شعب مسلم يصبح مفهوم سير محتلٍ غاصب في شوارعه مرادفاً للرغبة في الانتحار!

يمكننا صنع شعب مسلم لا تمتد يد محتلٍ على نسائه إلا إذا أراد الانتحار! لا يمكن ظهور عميل بداخله إلا إذا أراد الانتحار! شعب كل مسلم فيه هو (سلاح بناء ودمار شامل) .. بناء للحضارة ودمار للعدو ..

شعب الكتلة العسكرية الذائبة فيه كان صلباً مع ذلك من المستحيل غزوه، وهذا كان هو شعب الوطن الراشدي الذي شكل الصحابة جميعاً جيشه وقت الحرب ومدنييه وقت السلم دون حصر وتخصيص .. بينما شعب الكتلة العسكرية الوظيفية المنفصلة سهل الغزو هذا كان هو شعب الإمبراطوريات التالية التي أرادت إحكام قبضتها عن طريق تكريس المفاصلة بين ما هو (مدني) وما

هو (عسكري) بالمخالفة لقواعد دولة النجاح الأولى، رغبة منها في التحكم الديكتاتوري بمدنيين كالأفراخ عن طريق تخصيص جيش يعمل كجماعة وظيفية تحصل على امتيازات مقابل قمعها لأي ثورة مدنية داخلية على الحكم الظالم وتوارثه المخالف للإسلام .. لهذا سهل بعد ذلك سقوط المسلمين أمام التتار والصليبيين وغيرهم وقرأنا عن الأهوال والمذابح التي حدثت في مجتمع المفاصلة الصارمة بين ما هو مدني وعسكري .. لأنه بتغير المعادلة النبوية الراشدية الأولية أصبح ما بعد كسر جماعة الكتلة العسكرية الوظيفية المنفصلة هو ذبح شعبها من المدنيين كأنهم نعاج لا أنياب لها ولا مخالب!

كلما زادت في شعب ما سيولة العلاقة بين المدني والعسكري،كلما زادت صلابة هذا الشعب في وجه العدو الأقوى ..

وكلما زادت في شعب ما صلابة الحاجز بين المدني والعسكري كلما زاد احتمال انهياره أمام العدو الأقوى ..

وطريق التخلص من هذا الرعب المستمر خوفاً من الغزو يبدأ بالعودة إلى حالة دولة شعب الكتلة العسكرية الذائبة الصلب الإسلامية النبوية الراشدية، عن طريق كسر الحاجز المرتفع بين

المدني والعسكري، وسيولة الشعب كله في مفهوم المسلم المدني المجاهد العسكري، مفهوم (المسلم سلاح البناء والدمار الشامل) .

ببناء مثل هذا المسلم/السلاح وحده يمكن امتلاك حق الوطن في البناء والردع .. بإرهاب أي عدو للمسلمين من الاعتداء على شعب يبني حضارته تحول بأكمله إلى جيش لا ينتهي .. ولا حدود له ..

ومثل هذا المجتمع لا يصح أبداً أن تنتزع منه كرامة أفراده بعقوبات الطغاة المخالفة للشرع كالسجن والاعتقال، ومادام الفقهاء مختلفين في جواز استخدام الإمام للسجن فيمكن الميل لرأي الفريق الذي يقول بعدم جواز ذلك أبداً لانعدامه في وطن الراشدين، ولم ينقل سوى أثر عن الفاروق رضي الله عنه يفيد الحبس الاحتياطي لحين المحاكمة المنجزة لا السجن كعقوبة راسخة .. الواقع والتاريخ يشهدان بأن السجن من أسوأ الأمور على الإطلاق وقد ذاق أجلاء كالشيخ بن تيمية والإمام أحمد الويلات من هذه العقوبة الظالمة التي لم تذكر في القرآن إلا على لسان الطواغيت الظلمة ..

(٤) المشكلة الجنسية وحرية الزواج

ولن ينصلح المجتمع وينتظم في وطن الراشدين منشغلاً بالقضايا الأهم إلا بالقضاء قدر الإمكان على الشهوة الرئيسية المدمرة .. شهوة الجنس ..

ولا قضاء عليها إلا بفتح الحريات في الزواج .. والطلاق!

من الصعب ألا تنبهر بنظام الزواج في عهد الرسالة والصحابة والخلفاء الراشدين ..

كان الأمر شديد البساطة .. وشديد الصدق ..

امرأة يموت زوجها .. رجل صحابي فاضل مجاهد .. لا يستنكر ولا يستنكف المجتمع أن تتزوج مرة أخرى بعد زمن قصير من الحداد .. بل وتهيئ نفسها لذلك بلا مشاكل ..

رجل تموت زوجته فيتزوج بعد فترة قصيرة .. امرأة طلقها زوجها فتنتقل إلى الزواج من آخر .. آخر طلق زوجته فيتزوج ببساطة امرأة أخرى ..

هذه تشعر بمشاكل في الفراش مع زوجها فلا تستحي من طلب الطلاق منه ولا مشكلة .. وهذه لا تحب زوجها وتراه ضئيلاً بجوار أصحابه فلا تتحمل قضاء حياتها دون طلب الطلاق بعد الشكوى منه .. رسول الله يقول بكل بساطة (لا أرى للمتحابين إلا النكاح).. قرار بسيط للغاية .. تحبها وتحبك؟ هيا تزوجا وتباً للمجتمع الذي يفرق بين الجميع لطبقات وطبقات بينما (الناس سواسية كأسنان المشط) و(لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) ..أما ذلك القادم وأنتم (ترضون دينه) فزوجوه .. انتهى .. شاب متدين على خلق قدم إليك يطلب الزواج من ابنتك .. أنت غني؟ إذن هيا زوجه وساعده .. الشخص الدين ذو الخلق عملة نادرة يا رجل!

ماذا؟ اكتشفت ابنتك أنه رجل سيئ المعشر؟

مرة أخرى عظمة وبساطة الإسلام تظهر .. طلقها منه ..

ليس الطلاق والترمل آخر الدنيا .. هذه هي فلسفة المجتمع الإسلامي الأول :

الزواج والطلاق مجرد عمليات حياتية تتم وتنتهي ثم تتم وتنتهي بلا مشاكل وبلا توقف ..

لا قيود على فتاة مثارة منذ بلوغها .. فلتتزوج ولا تنحرف .. لا قيود على السن ولا على أي شيء ..

لا قيود على مراهق مثار منذ بلوغه .. فليتزوج ولا ينحرف .. لا قيود على السن ولا على أي شيء ..

لا قيود على عجوز أو عجوزة .. لا قيود على أحد!

حرية عاطفية وجنسية تامة .. ومع ذلك لا تغضب الله في إطار الزواج والطلاق الدائم والمستمر بلا مشاكل مجتمعية ولا دينية ..

هكذا كانت تسير الحياة بلا مشاكل .. لا انحرافات جنسية؟

نعم .. لماذا تنحرف يا رجل إذا كان من الممكن أن تتزوج منذ أن تتم العاشرة؟

لماذا تنحرف هذه الفتاة إن كان من الممكن أن تتزوج منذ أن تتم العاشرة؟

لماذا تنحرف الأرملة أو المطلقة وهي قادرة على الزواج بلا أي مشاكل من رجل جديد دون أي استنكار ديني أو مجتمعي؟

لماذا ينحرف الرجل المتدين وهو قادر على أن يتزوج واحدة وأربعة؟ يتزوج من يحبها وهي تتزوج من تحب لا لشيء سوى لأنهما (متحابين)!

المجتمع كله وصل إلى حالة (اكتفاء عاطفي وجنسي) ذاتي فلا مشاكل إلا من النماذج المغالية في الانحراف .. لهذا كانت عقوبة المنحرف الشاذ شديدة العنف ..

راقب ما نعيشه اليوم وقارن بهذا المجتمع القديم :

فتيات مراهقات يتهربن من مدارسهن ليلتقين بالشباب على قارعة الطريق .. صدع الغرب رءوس المسلمين بأن سنهن لازال صغيراً ونحن اليوم نجد فتيات في الابتدائية على قارعات الطريق ينتظرن معاكسات مراهقي الابتدائية لهن!

إنهن مستثارات من مجتمع عالمي لا هم له اليوم إلا إثارتهن .. إنهم مستثارين من مجتمع لا هم له اليوم إلا إثارتهم!

بينما يعيش الغرب حالة انفلات كاملة ولازال وكلاؤه يخفونها ما استطاعوا .. في إنجلترا منذ سنوات قليلة كان هناك ذلك الفتى ذو الأحد عشر عاماً والذي يعيش مع أمه وأبيه في منزلهما مع فتاة في الثالثة عشر .. لماذا؟ لأن الأخيرة أم ابنه !

نعم .. وأبوي الفتاة سعداء .. لا مشاكل .. جريدة الصن البريطانية نشرت الخبر بلا مشاكل ..

ثم تنشر بعد أيام صورة حفل زواج يتم أخيراً بين شاب في الثانية

والعشرون وفتاة في العشرون .. يقف بينهما مراهق في العاشرة .. من هذا يا بشر؟

هذا ابنهما!

لقد أنجباه منذ كان عمر الشاب أحد عشر عاماً والفتاة تخطت التاسعة!

عادي!لا مشكلة!

أما نحن فنضع ألف قيد على الزواج .. دون النظر لما يسببه هذا الكبت في المجتمع .. يا إخوان .. هذه فتاة مراهقة لكنها لا تطيق .. هذا فتى مراهق لكنه لا يطيق .. هذا رجل متزوج بمن لا يحب لأن من أحبها وأحبته كانت من مستوى آخر .. هذه امرأة توفي زوجها وبالتالي اعتبرها المجتمع ماتت معه! وهذه امرأة طلقت فأصبحت (رجس من عمل الشيطان يأنفه الجميع)!

مشكلات تدمر المجتمع .. كبت يحيط بالجميع .. يدمر باطن النفوس ومع ذلك يخشى أي شخص مناقشة الأمر بصراحة .. يتعفف عن مناقشة هذه الأمور (معدومة الحياء) بينما يجلس أمام التلفاز هو وابنه وابنته لمشاهدة رقص هذه ودلال تلك!

نحن بحاجة إلى (ثورة) كبرى لتحطيم المفاهيم والقيود

المعرقلة للزواج .. ثورة في النفس وثورة في المجتمع .. ثورة على التقاليد البالية وإيمان تام بضرورة العودة لـ (مجتمع الصحابة) حيث الجميع من نساء ورجال في أي سن يمتلكون الحرية التامة للزواج والطلاق بصورة مستمرة لا تتوقف ....

من الصعب القضاء على المشكلات (الجنسية والعاطفية) إلا عندما نتخلص من رواسب الجاهلية والعادات والتقاليد البالية .. حرية الزواج والطلاق من أعظم خصائص المجتمع الصحابي ..

نعم الحرية هي الحل .. الإسلام هو الحل ..

ولا مجتمع سليم في وطن الراشدين دون حل لهذه المشكلة ..

(٥) التعليم .. تغيير لا تطوير

يعتبر توحيد كافة مناهج وأهداف التعليم بين الشباب والفتيات أمر غير منطقي، فإن كان من الضروري تعميم وتوحيد المناهج في بعض المقررات، مثل القرآن والسيرة واللغة والأدب والتاريخ، فمن المناسب التفرقة بين الجنسين في بعض المقررات الأخرى .

كأن تتعلم الفتيات مثلاً ومنذ سن مبكرة الطب النسائي كي يغنيها عن الكثير من استشارات الأطباء البسيطة، ومعه طب الأطفال في سن أحدث ..

أضف إلى ذلك ضرورة ملحة لا تنافي الإسلام لكن تجاهلها أذاق المسلمين ويلات الفضائح في تجربتهم التاريخية : ألا وهو تعليم الفتيات لمهارات القتال اليدوي واستخدام الأسلحة البيضاء - الأكثر وفرة في المنازل - بصورة تجعلها قادرة على الدفاع عن نفسها من فضائح الغزاة لمجتمع مسلم معرض دائماً للسقوط تحت سطوة الأعداء ..

بينما تجيء أهمية كبرى لتعليم الذكور مهارات وفنون القتال العسكرية منذ صغره في صورة ألعاب شعبية تُضاف إلى المجموع، وجلي أن المجتمعات التي تعلمت عشق اللهو التنافسي ككرة القدم التافهة سيزيد شغفها بألعاب فنون قتالية حقيقية، والنجاح أن تتحول ألعاب القتال والتكتيكات العسكرية إلى اللعبة الشعبية الأولى عند المسلمين .

لا بصورة عشوائية بل بصورة عسكرية منضبطة ومدروسة بشدة مع تمييز الموهوبين وعلو درجاتهم التعليمية .. لاحظ شغف الشباب والأطفال بالدبابات والطائرات والمُعدات الحربية، وألعابها على أجهزة الكمبيوتر، ولاحظ كم من شاب دخل الكُليات العسكرية وبداخله ذلك الشُعور (الصبياني) بأنه سيصبح جزءاً من هذا العالم الذي يحبه . إذن لماذا لا أحول ألعاب القتال وتكتيكاتها الحربية إلى مناهج تعليمية ولعبة شعبية تقوم بتدريب مستمر لكافة الشعب المسلم؟ تخيل حجم المهارات والتكتيكات الجديدة التي سيتم إفرازها من التنافس الشعبي المستمر وتخيل في المقابل كيف يمكن لعدو أن يهزم شعب تعلم القتال منذ الصغر وهو لعبته الشعبية الأولى!

كذلك فإن تخفيض عدد سنوات التعليم إلى الحد الضروري الأدنى هو النظام الأمثل لبعث روح قيادة أسامة بن زيد الشاب صغير السن لجيش هام في تاريخ الأمة .. إذ كيف لشاب أن ينبغ مبكراً بينما يقضي فترة الحماس الأكبر ملتاعاً بين مؤسسة تعليمية وكبت جنسي يستنزفانه عقلياً وبدنياً بلا رحمة؟!

إن تخفيض سنوات التعليم إلى الحد الأدنى مما يجعل من الممكن أن يتخرج شاب أقل من السابعة عشر، مع فتح باب الزواج المبكر بلا قيود، هو الحل الأفضل لخلق أمة شابة جداً، فزرع صحراء تيه شباب الأمة باستقرار أسري وجنسي مدعوم بخروج لسوق العمل والاجتهاد مبكراً أسلوب لا بأس به أبداً بل ضروري بشدة للخروج من هذا التيه أو تحويله لجنة شبابية خضراء ..

ولابد كذلك من البحث في الأسس الرئيسية التي تقوم عليها مؤسسات التعليم ومحاولة قلب مفاهيمها، مثل الإطالة والاعتماد على الحفظ كطريق رئيسي للنبوغ والتفوق .. فهل هذه قاعدة جامدة أم ثبت أنها ليست كذلك وطريق النبوغ والتفوق غير مقصور على الحفاظ؟

ويبقى أخيراً التنبيه على أن العلم الشرعي لابد من تمركزه

كالمادة الرئيسية في المناهج التعليمية منذ الصغر .. حتى يصبح كل فرد في الدولة عالم مسلم بذاته في دين لا يعرف ثنائية (رجال دين - شعب علماني) .. وكذلك يفيده كون الدين هو مركز المؤسسة التعليمية ومقرراتها حين يتسرب هذا المفهوم إلى نفسه فيصبح الإسلام هو مركز حياته كلها بغض النظر عن نوع عمله المستقبلي ..

بنية التعليم المعاصر بحاجة لا إلى تطوير، بل إلى تغيير شامل ..

الباب الثاني

أعداء الوطن ومراتبهم

خلال سعي المسلمين نحو ضم وطنهم الدنيوي بدءً بدولة نواة لابد من تحديد الأعداء لفهم المخاطر وحجمها، وأي لبس وسوء فهم في هذا الأمر بالذات قد يؤدي إلى نتائج كارثية .. لذلك من الضروري التفكير في هذا الأمر بالخروج من القوالب الجاهزة تاريخياً لرفع التعمية عن العدو الأول بعدو أقل خطراً .. ولنأخذ مقولة (الشيعة أخطر من اليهود والنصارى) التي يؤمن بها البعض مستدلاً بالتاريخ كمثال لهذه التعمية ..

(١) التاريخ ليس حاكماً على صحة المعتقد

يمثل استدعاء الجرائم السياسية التاريخية للشيعة كدليل على سوء مُعتقداتهم والهجوم عليهم منهاجاً معيوباً في النقد إن حدث تدبر قليل في تطبيقه بصورة عكسية على أهل السنة أو بصورة موسعة على أمم أخرى ..

فما فعله الشيعة من خيانات للأمة، خاصة الرواية الشهيرة لتيسير دخول التتار إلى بغداد بواسطة وزير شيعي ، لا تعد دليلاً على سوء مُعتقد الوزير، فهناك أمثلة كثيرة جداً لها في التاريخ السني من الأندلس الغابرة مروراً بالحملات الصليبية ومساندة عدد ضخم من أمراء وملوك أهل السنة لها في بعض الأحيان .. وكان التفسير الدائم والصحيح هو أن هذه الخيانات إنما كانت لمطامع دنيوية ..

ولم تغب هذه المطامع حتى الوقت الحاضر، وما حالة مساندة إحدى الدول المحسوبة على أهل السنة لغزو مالي إلا مثال واضح على هذا!

هذا طبعاً غير التسطيح الحادث لجعل قصة سقوط بغداد، حاضرة زمانها، حدثت جراء خيانة شخص شيعي واحد في الإمبراطورية! فمن الذي جعلهم يصلون إلى أبواب العاصمة الكبرى ابتداءً!

كل هذه الخيانات المُثبتة في تاريخ كافة الأمم ومنهم أهل السنة كان تفسيرها الإنساني معروف وجاهز دائماً، فالتنافسات الدنيوية حدثت بين ملوك أهل السُنة وجيوشهم كما عند غيرهم، ومع ذلك لم يستدل عاقل أبداً أن هذا دليل على فساد مُعتقد أهل السنة .. وما ينبغي له أن يفعل .

إذاً لابد أن يكون هناك فصل بين عقيدة طائفة ما الحاوية لتعاليمهم ، وبين تاريخ هذه الطائفة وأفعال ملوكها وجيوشها .. ما لم تكن هناك نصوص صريحة عامة تجيز الخيانة والمذابح كتلك الموجودة في كتابات العهد القديم ..

والهجوم على إيران ومحاولة إثبات خيانتها للأمة اعتقاداً أن هذا يثبت فساد المعتقد، هو أمر لا تؤيده الجيوش الأمريكية المتصهينة الرابضة في دول منتسبة لأهل السنة !

تلك الجيوش التي اجتاحت العراق مرتين بمباركة وتشجيع حكام من أهل السنة، بل وبمشاركة جيوشهم !

و كثير من هؤلاء الحكام يعتبرون أنفسهم ويعتبرهم كثير من علماء السلفيين - أشد الفرق هجوماً على إيران والتشيع - من ملوك أهل السنة الشرعيين!

كيف تتهم كسني إيران بالخيانة ثم تعمم ذلك على الشيعة، بينما جيوش دول السنة جلها صناعة أمريكية (أو روسية!) إمبريالية وجدت أساساً لحماية دولة الصهاينة ومصالح الأعداء أو إيقاف البعث الإسلامي في كل مكان؟!

كيف تتهمهم بخيانة الأمة والتحالف مع الأعداء التتار، بينما حكام أهل السنة الحاليين متحالفين مع من هم أقذر وأخطر وأكبر من التتار! بل يصرفون من أموالهم المليارات دعماً للغرب في حروبه ضد (الإرهاب) الإسلامي! بل يوكلونه لغزو دولة سنية هامة جداً مثل العراق؟

قمة الكوميديا أن يسكت شخص ما على الحكام الذين يسَّروا للأمريكان غزو العراق ثم ينتفض غاضباً من حكام إيران الذين سعوا للسيطرة عليه بعد غزوه!

بل إنه حتى الهجوم عليهم باعتبارهم (قومية فارسية) مستدلاً بذلك على فساد معتقدهم الشيعي، يستلزم بالضرورة أن تهاجم معتقد الأكراد السنة وفيهم البشمركة الذين نفذوا خيانات هائلة

للعراق للحفاظ على (قوميتهم الكردية)!

المعتقد الشيعي إن أردت محاربته فعليك بالذهاب إلى أصوله، إلى العقيدة وكتبهم الفاسدة، إلى الكافي وما حوله من كتب خرافية ملعونة .. لا أن تجيء بروايات تاريخية لهم يمكن الرد عليها بروايات تاريخية ألعن لملوك وجيوش أهل السنة!

ذلك الدرس البسيط يمكن رؤيته في المناظرات (النصرانية - الإسلامية) جلياً .. حيث تدور المناظرات على كشف النصوص ومعانيها .. لن تهتز عقيدة نصراني بسرد تاريخ الكاثوليك دموي، بل ستهتز عندما يُفضح النص أصل المشكلة « طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكِ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ » أو « الشَّيْخَ وَالشَّابَّ وَالْعَذْرَاءَ وَالطِّفْلَ وَالنِّسَاءَ، اقْتُلُوا لِلْهَلاَكِ. وَلاَ تَقْرُبُوا مِنْ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ السِّمَةُ، وَابْتَدِئُوا مِنْ مَقْدِسِي » .. ماذا عن مُعتقد بعض كهنة الأديان الوضعية المُنتشرة في جنوب شرق آسيا؟ أديان التأمل والسمو الروحي .. تاريخ هذه الأديان فيه هدوء وسمو .. فهل هذا دليل على صحتها؟

أصل الخلاف بين السنة والشيعة في معتقدات مثل سب كبار الصحابة وزوجات الرسول والإمامة المعصومة والشرك المُغلّف لتصرفاتهم .. يكفي جداً أن تفضح هذه الخلافات وتثبتها عليهم

من نصوصهم وكتبهم لتهدم كل احترام لهم في قلب السُني .. بل يكفي جداً تعلُّم حب ثلاثة من أخص خواص أحباب نبينا ونشر هذا الحب بحيث يتملك من قلوب الناس وعقولهم، فينتفى خطر التشيع الإمامي ويصبح سراباً .. هؤلاء هم أبو بكر وعُمر وعائشة رضي الله عنهم أجمعين ..

سيرتهم هي ما يجب أن تُروى وفضائلهم هي ما يجب أن تُحكى حتى تستقر للأبد في قلوب الناس فتصبح سداً أمام اي عدو لهم أو حتى مشكك فيهم ..

و لا تشيُع إمامي -وهو الأخطر والأكثر انتشاراً- دون بغض هؤلاء الثلاثة .. رضي الله عنهم وأهلك عدوهم ..

لابد إذاً من التركيز على فضح النصوص أصل الخلاف .. السرد التاريخي لخيانات غير السنة من الأمم قابل جداً للنقد والنقض .. محاولة إثبات عمالة إيران بينما جيوش دول السُنة تعمل جهاراً نهاراً مع الأمريكان واليهود هو من قبيل انعدام الرؤية والتفكير والوزن بمكيالين!

في نصوص كتب الشيعة العقائدية ما يغني عن ذكر السرد التاريخي لخياناتهم ..

فتاريخ المُعتقد ليس حاكماً على صحة أصوله ..

أما الجانب الأخر من الإيمان بحاكمية التاريخ على صحة المعتقد هو الشعور بضرورة (تبييض وجه تاريخ أهل السنة)! فيحدث أن ينتقي المؤمن بهذا أحياناً كثيرة الروايات التي تصور المسلمين في كافة مسار تاريخهم بصورة (الأطفال الأبرياء السُذج الذين فعلوا ما فعلوه بنية خالصة)! وإن قام بالاعتراف بالروايات التي تدينهم تكلف التبرير الغير معقول كأن المسلمين من الضروري أن يكونوا في كل لحظة من التاريخ مجموعة من الملائكة لأنهم يتبعون العقيدة الصحيحة! هكذا نجد تبريرات وراء التبريرات لكل ما تم في الماضي .. بداية من بعض سلوكيات الصحابة في الفتنة وحتى مذبحة الأرمن للعثمانيين! هو يصر على جعل التاريخ (و بالتالي أفعال البشر العاديين التي تكونه) حاكمة على زيف معتقدات الغير وصحة معتقده هو كأن في اعتقاد أهل السنة عقلاً ونقلاً ما يحتاج إلى دعم من تاريخ البشر بعدما أثبت لنا سيد الخلق أن البشري من الممكن أن يسير عليها بلا حجة :هذه معتقدات تصلح للملائكة فقط!

والحقيقة أنه لو أراح نفسه مبكراً بالحكم على معتقدات الغير

بمعزل عن تاريخهم (مالم تحوي معتقداتهم ما يشرعن فعل ما في تاريخهم) لأراح واستراح .. نعم هناك من الصحابة من تعامل مع الفتنة لا كما نتصورها بين أفاضل بل كأنها حرب .. وقد كانت حرباً بالفعل .. ورضي الله عنهم وأرضاهم لكن أفعالهم وقتها لا تلزمنا ما دامت عقيدتنا محفوظة، وبرغم كل صراعاتهم كان أمر حفظ الأمانة المنقولة عندهم من الرسول في أعلى الدرجات ولا أدل على ذلك من اعتراف بعضهم بأحاديث تضره وتدين أناس في فريقه أثناء الفتنة ولم يجرؤ على تكذيبها لحظة واحدة! ولا أنبل من هذا الخلق ..

وأفعال دولة العثمانيين أو المماليك أو الأيوبيين أو العباسيين أو الأمويين لا تلزمنا وليست حاكمةً على معتقدنا المحفوظ .. فليفعل البشر ما يرغبون فهم بشر في النهاية .. إن كنت تريد مناقشتي في صحة معتقدي فتعال أناقشك من كتب أهل السنة وأثبت ضلالك لا من تاريخ العثمانيين أو العباسيين؟!

وبالتالي إن كنت أريد مناقشة فساد معتقدك فأي عالم بعقائد الغير، دارس لمقارنات الأديان، يعلم يقيناً أن كتب الإنجيل والتوراة المحرفين وكتب الكافي وغيرها عند الشيعة وكتب البوذية

والهندوسية وغيرها من أديان تحوي ما هو كافٍ جداً لإظهار فسادها الجلي الواضح دون الحاجة لأمثلة تاريخية، والا فبعض الديانات الفاسدة -كبعض أديان شرق آسيا مثلاً- تاريخها يدور حول التأمل ورفض العنف وحسن الخلق فهل هي صحيحة؟!

معتقدات الضلال فيها ما يغني لإظهار بطلانها عن اللجوء لتاريخ أفعال أتباعها .. وهي ليست مثل المعتقدات الغامضة والمتطورة حتى الآن كالديمقراطية والرأسمالية والتي لا ينفك تعريفها عن تاريخها ..

ومادمت قد فصلت التاريخ عن المعتقد فلنتأمل من هو العدو الأخطر في معتقدنا .. وما هي مراتب باقي الأعداء .

(٢) العدو الصانع والعدو المصنوع

مثال على المشكلة الخطيرة في تغيير ترتيب أعداء الأمة هو أن يصر أحدهم على جعل مرتبة خطر الشيعة فوق خطر اليهود والأمريكان بالمطلق، أو على الأقل جعلهم في نفس المرتبة، ذاكراً الأدلة على ذلك، فتكون هذه ليست مجرد مشكلة إدراكية لتاريخ الخلق في عقيدة المسلمين ، بل مشكلة إدراكية لماهية العدو الأول الذي حذر منه القرآن دائماً، حتى جُعلت معركتنا الملحمية النهائية معه .. وهم اليهود أتباع دجال آخر الزمان ..

و مع اليهود وضع الله في نفس مرتبة العداء الخطير (الذين أشركوا) وهذا واضح جلي في مذابح الأمم المسلمة المتاخمة للهندوس والبوذيين ومن على شاكلتهم من مشركين عباد أصنام .. وبعد ذلك تجئ الأمم الصليبية أقل خطراً في العموم نعم، لكنها ما فتئت تذكرنا بأنها عدو لن يرضى عنا حتى نتبع ملته ..

فكيف تصر على رفع عداء طائفة ضالة كالشيعة فوق كل

تلك الطوائف التي حددها القرآن بدقة!

الشيعة عدو؟ نعم .. وعدو خطير أيضاً .. لكن له درجته في سلسلة الأعداء .. ولا يصح التغافل عن باقي السلسلة وفضح واحد فقط منها بل والصراخ مع تحريك إياه ليصبح أخطر من الباقي!

ومن صور ذلك التناقض العجيب لمن يرفع خطر هؤلاء على الأمة فوق خطر اليهود والنصارى والمشركين، هو أن تجد أحدهم يتهمهم بأنهم صنيعة اليهود ثم يختم كلامه بأن اليهود أقل خطراً على أمة الإسلام منهم! أن تجد أحدهم ينقل أن النصارى حُرف دينهم على يد اليهودي بولس الطرسوسي ثم يخبرنا بأن اليهود أقل خطراً من النصارى لأن (تاريخ اليهود) ضدنا فيه مذابح أقل! الصانع المجرم أقل خطراً على الأمة من مصنوعاته!

ومع ذلك يسلم بالآيات القرآنية التي تفرق في الأوصاف والأحكام بين اليهود والنصارى، أي بين الصانع والمصنوع، محذرة بصورة مستمرة من الصانع واضعة إياه في مرتبة أخطر وأشد، بينما يتغافل عن تطبيق ذلك مع صنيعتهم الأخرى (الشيعة)؟!

من صور التناقض أن يتهم البعض الشيعة بالشرك مطبقاً عليهم أحكام المشركين بينما مآخذه عليهم يضع مثلها على غالب فرق

الصوفية ولا يضع لها أحكام المشركين! التناقض أن يستدل البعض بتاريخ وقوع الأمة تحت راية ضلال الشيعة بينما لا يستدل في ذلك عند وقوع نفس الأمة تحت راية ضلال الصوفية إلى درجة خروج (الوهابية) على الخليفة لأنه لا يمنع البدع بل ينصرها! أو ليست معتقدات الصوفية كثير منها قادم من الأديان الهندوكية الشركية فكانت مصداقاً لتحذير الله من اليهود والمشركين ..

هل يصعب فهم هذه الحقائق القرآنية البسيطة : أن الصانع أشد خطراً من المصنوع .. أن واجبك ألا تجعل عدوك المصنوع فوق درجة صانعه .. هل سينفع استمرار السرد التاريخي للاستدلال على قلة خطرهم مقارنة بالشيعة عند لحظة إبادة اليهود للمسلمين مع الدجال أم أن وقتها السرد التاريخي للمذابح وحساب عدد القتلى سيكون لصالح فرضية خطر اليهود بلا جدال؟

إن قياسك التاريخي محدود بلحظتك الحاضرة التي تقف فيها .. بينما أحكام القرآن ممتدة إلى يوم القيامة .. جعلهم الله عدونا الأول إلى يوم القيامة لذا فأشد خطر على ديننا قادم منهم .. إن استخدم هؤلاء القنابل اليهودية النووية لإبادة خمس مدن إسلامية كبرى صباح الغد فسيتغير إحصاء قتلى المسلمين تاريخياً .. فهل

تنتظر هذا لقياس وزن الخطر؟ إن حدث هذا أصبح اليهود في المقدمة عندك وتراجع الشيعة؟!

التاريخ مستمر والأعداء كثر يزيد خطرهم وينقص، يقترب أو يبعد .. لكن النصوص ثابتة تحدد ماهية الأعداء ومراتبهم .. اليهودي هو العدو الأول ثم المشرك ثم النصراني .. صنائع اليهود كثيرة نعم وكل صنائعهم أعدائي .. إن زال خطر الشيعة فعندك العلمانية والأحمدية وغيرها .. أعداء الأمة الأصليون لا تفنى صنائعهم فلا تجعل المصنوع أخطر عندك من الصانع ..

وبدلاً من أن يتعب الكثيرين أنفسهم في الاستدلال على خطورة اليهود بكتاب مجهول النسب لا سند له وهو « بروتوكلات حكماء صهيون» فلديهم ما هو أخطر وأكثر جدية في كتابات يهود آخرين مثل والتر ليبمان وليو شتراوس وإدوارد بيرنز .. وكلهم يهود صنعوا كثيراً من أساطير الديمقراطية الأمريكية المنتشرة عالمياً الآن وكلها تعتمد على خداع الشعوب وتضليلها لصالح « نخبة سرية متحكمة» !

نشر كتابات هؤلاء مع معرفة بتاريخهم وحجم تأثيرهم في السياسة العالمية حتى الآن كفيل بفضح اليهود تماماً وإدراك سبب

وضع الله لهم في أعلى مراتب العدواة للمسلمين .. وهو أفضل من كتاب يسهل الطعن في مصدره المجهول أصلاً كالبروتوكلات ..

ومادمت قد عرفت عدوك العقائدي الأول ومراتب باقي الأعداء في الخطورة فلتتأكد أنه محال التحالف مع عدو أعلى في المرتبة لضرب عدو أقل خطورة ..

(٣) لا تحالف مع العدو الأول

أنت الآن مكان (بيدرو دي ألفارادو) .. القائد العسكري الإسباني .. القرن السادس عشر ..

في قارة جديدة تماماً .. أغلبها غير معروف حتى الآن .. لكنها مزدحمة بالكنوز ..

معك بضع مئات من الجنود الأسبان .. مطلوب منك فتح جزء ضخم من شعوب المايا .. أو ما يعرف الآن باسم جواتيمالا ..

كيف تتصرف؟

استعن بالجنود المحليين الذين قمت بهزيمتهم في المكسيك .. جارة جواتيمالا .. ولكي تضمن ولاءهم .. اجعل الملك الآزتيكي الخاضع لك (كواوهتيموك) يأمرهم ويحشدهم بنفسه .. ثم توجه إلى هناك .. إلى جواتيمالا .. حيث حضارة المايا الغامضة ..

عند وصولك .. استعن بالجواسيس والرسل .. راقب الأوضاع جيداً .. تعرف على الشعوب المكونة لحضارة المايا وشكل العلاقات بينها

.. من يكره من؟ من ينافس من؟ من في وئام مع من؟

من الشعب الأقوى؟ انهم (الكيشي) الملاعين .. أقوياء جداً .. من المستحيل تقريباً اخضاعهم دون حرب عنيفة .. وأنت وحدك لا تقدر عليها حتى مع جنودك المكسيكيين ..

لا أمل؟

انتظر! هناك أمل ..

إن الكيشي في منافسة مع شعب آخر قوي مجاور اسمه (الكاكشيكيل) .. وهذا الشعب يمكن التحالف معه ..

حُلت المعادلة .. فليبدأ تنفيذ الخطة المعتادة :

يتم إغراء (الكاكشيكيل) بمزايا الإنضمام إلى (دي ألفارادو) .. سيتم التخلص من منافسيكم الملاعين .. سننهي عدوانهم عليكم ..

تكمن أهمية (الكاكشيكيل) في أنهم يعرفون مواطن ضعف شعب (الكيشي) المجاور .. يعرفون أراضيه وتكتيكات معاركه .. خبراء في طباعه وشكل ساحات المعارك التي يفضلها .. الكاكشيكيل هم حصان طروادة بالنسبة لـ (دي ألفارادو) لكن الحمقى يظنون أن الأسباني هو من يعمل لصالحهم .. هو العميل

الغبي .. هو حصان طروادة الذي سيجعلهم ينتصرون على شعب الكيشي ..

ينتصر حلف دي (ألفارادو) و(الكاكشيكيل) ..

- مبارك علينا الانتصار يا (بيدرو) .. الكيشي أكبر شعوب الجواتيمالا أصبح خاضعاً لنا ..

- مبارك على من يا حمقى؟ لا توجد (نون) هنا!

يشن دي ألفارادو حملة عنيفة ضد الكاكشيكيل الذين نسوا أنفسهم واعتقدوا أن رأسهم يوماً يمكن أن تطال رأس قائد عسكري مثله قادم من دولة الإسبان التي أصبحت قوة عظمى كبرى .. في النهاية يخضع الكاكشيكيل في ذل وخنوع .. لا مفر .. والرجل يمضي ويجئ غيره ليستعبد الكاكشيكيل والكيشي والآزتيك وغيرهم .. وبرغم محاولاتهم الفكاك والتمرد إلا أن القمع استمر .. جزاء المنافسات الداخلية والخيانات من المستحيل مسحه من التاريخ ومن الصعب جداً محو آثاره ..

بعد هذا بقرون جاء أمريكي اسمه شوارزكوف ليقود حلف عربي إسلامي لضرب دولة عربية إسلامية اسمها العراق .. مرة أخرى مع استغلال المنافسات الداخلية وتنازع الشعوب المرتبطة

بعضها ببعض .. يقود الأمريكي بقواته عملية يهزم فيها العراقيين .. ثم بعد ذلك يرحل ليجيء غيره الذي يقتل مئات الآلاف عبر حصار امتد لسنوات طويلة .. وظلت أمريكا القوة العظمى الكبرى باقية هناك في (الدول العربية الكاكشيكيلية) المجاورة .. حتى بعد اجتياح دولة (العراق \ الكيشي) بصورة نهائية!

أتعرفون ما الغريب؟

الغريب أن الكاكشيكيل والكيشي ثاروا بعد ذلك على المتجبر .. نعم دون جدوى لكنهم لم يخضعوا بسهولة طوال عدة عقود ..

لكن هؤلاء الذين استخدمهم الأمريكان لا يثورون عليهم .. بل الأكثر قرباً للصحة أنهم (يشعرون بالأمان) مع استمرار وجودهم!

لماذا؟

لأن هناك (بعبعاً) جديداً أظهره الأمريكان بعد انتهاء (البعبع) العراقي .. بعبع إيران!

و بعد إيران؟ لا مشكلة! سيبحثون عن (كيشي) آخر .. باكستان النووية الطموح! إرهاب أفغانستان! إرهاب السوريين! قاعدة اليمنيين! هناك احتمالات لا نهائية!

كل أمة لديها عدة أعداء .. ومهارتها تكمن في صنع ترتيب لهم بحسب الخطورة والقوة .. الأمة الواعية هي من لا تتحالف أبداً مع العدو الأقوى والأكثر وحشية مهما بلغت استفزازات العدو الأدنى في الترتيب .. الصحيح أن تواجه كلاهما أو تتلاعب بهما حتى تبني قوة كافية لمواجهة أطماعهما في حالة انعدام القدرة على المواجهة .. لا أن تصبح ألعوبة في أيدي الآخرين ..

و الأمة التي لا تعرف عدوها الأول يحق له التلاعب بها كما يشاء!

ربما شعب الكيشي هو عدو أهل السنة .. لكن الاستعانة بمجرم سفاح أكثر قوة للقضاء عليه يعني أنه سيقضي عليهم بعد الفراغ منه، أو على الأقل يبقيهم عبيداً لديه ماداموا قد رضوا بالغفلة ..

ولا تعرف على العدو الأخطر هنا إلا بالنظر إلى العقيدة بعيداً عن التاريخ، ثم تحديد مراتب عداوتهم وخطورتهم ومعرفة من يصنع من ..

بهذا يتم صنع قائمة بأعداء الوطن حسب خطورتهم مستقاة من القرآن والسنة في قانون الدولة النواة ترسم شكل علاقاتها الخارجية ..

(٤) التوافق يكون مع الحق

عندما نتجه لإنشاء ذلك الوطن الإسلامي الراشدي المهيمن.. هل يصلح أن نتوافق مع الآخر المعادى لبناء مثل هذا الوطن؟

وهل يصح إسقاط واقعتي تكون (وثيقة المدينة) و(صلح الحديبية) على مثل ذلك التوافق؟

إن المشكلة الكبرى أن أغلب التصورات لهذا الأمر في أذهان الإسلاميين المنخرطين في عمليات ديمقراطية هو أن هاتان الحادثتان هما المنبع الإسلامي الوحيد الممكن الاغتراف منه لتبرير التوافق دون اعتبار الموقف التاريخي للدعوة الذي تم فيه إنشاء هاتين الوثيقتين .. وتعتبر أي محاولة لكسر الشرح التفسير المعتاد لهما كارثة لابد من مواجهتها بحزم!

إن الاصطدام بصلح الحديبية بالذات أمر صعب .. لأنه النقطة المركزية التي تدور في فلكها العقيدة السياسية الرئيسية للمشاركة الديمقراطية مع أحزاب معادية للشريعة .. فعند أتباع

الأحزاب الإسلامية المتوافقة مع أعداء الشريعة قد بلغ هذا التفسير للصلح من المركزية في عقيدتهم مرحلة الحقيقة المطلقة ! ولكن حتى إن قمنا بتجاهل ذلك السياق وتعاملنا مع الحادثتين بشكل مختلف لوجدنا الإسقاط لا يتم بصورة سليمة!

فبفرض صحة حادثة وثيقة المدينة - وهناك من يشكك في روايتها - فإننا نلاحظ أنه عندما قام الرسول بإنشاء مجتمع المدينة كان يتعامل (كحاكم) لها برغم أنه والمهاجرين المسلمين كانوا وافدين جدد عليها لم تتثبت أركان حكمهم فيها بعد .. لقد تعامل باستعلاء على (الآخر) الباطل منذ اللحظة الأولى .. وما إعطاء (الآخر) الأمان حتى تبلغه دعوته واضحة كاملة إلا مزيد من تأكيد هذه (السيادة) و(الاستعلاء) ..

إن هذا المثال ضد ما يرغب أهل فكرة (التنازل في الخطاب العقائدي من أجل التعايش مع الآخر) في إثباته تماماً! فأي شبه هنا بين موقف الأحزاب الإسلامية التوافقية وبين هذا المثال؟! ثم هل بقي هذا (الدستور) طويلاً عندما قام (الآخر) بالتحالف مع أعداء الأمة ممثلاً في جاهلية قريش؟ ألم يتم إلغاؤه فوراً والتعامل بصرامة عسكرية مع من خالفه؟ هل يصح ضرب هذا المثال و(آخرنا)

يخطط علناً لتقسيم البلاد الإسلامية ونشر دياناته ومذاهبه الباطلة بل والاعتراض بكل صراحة ووقاحة على ولو حكم شرعي واحد يتم تطبيقه في البلاد؟ هل (آخرنا) كهذا الآخر الذي أنشأ معه الرسول وثيقة المدينة؟ ثم هل كان (آخر) عصر الرسول يظهر دعوته أنها (ضد إسلامية) صريحة تدعو لمحاربة الشريعة وأهلها؟ كيف يتم ضرب هذا المثال وإسقاطه على واقع المسلمين اليوم؟!

كما أن استخدام مفهوم الوثيقة القديم لإسقاط مفاهيم وروح عصرنا بأنها (دستور وطني) هو ما يسميه هيجل (التاريخ النظري) وهو أحد أسوأ أنواع قراءة التاريخ لأنه يُسقط مفاهيم العصر الحالي على مفاهيم عصر سابق لكل من كلماته معنى وسياق مُختلف ..

لهذا كان التهليل الدائم لوثيقة المدينة على أنها (أول دستور بشري يعلي من حقوق المواطنة) .. وأصحاب هذا الكلام قدسوا مبدأياً فكرة المواطنة الحداثية والمساواة التامة الموجودة في العصر الحالي والتي لا يتبناها الإسلام ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ و﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ و﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ فبحثوا في تاريخ الرسالة عن رواية تؤيد

تقديسهم لمفاهيم العصر الحداثي وأبرزوها .. وهذا بالطبع يظهر فارق كبير بين من يُقدس الرسالة فيبحث عن واقع قريب منها ليؤيده وإن لم يجد اجتهد في صنعه .. وبين من يقدس الواقع فيبحث في الرسالة عن واقعة قريبة منه فيبرزها!

أما عن الحديبية .. فإن طبقنا مفهوم قراءة التاريخ بالطريقة (النظرية) التي يحبونها، فسنجد هذا الصلح أشبه بمعاهدة عدم اعتداء بين (دولة حديثة) ذات سيادة و(دولة حديثة) أخرى ذات سيادة .. وقد كانت (هدنة مؤقتة) لوقت قصير حتى اكتمال البناء لا (مُعاهدة دائمة) كما يحاول مستخدميها التصوير ..

فوقتها كان أهل الإسلام لهم أرض يمارسون عليها سيادتهم في بناء مجتمعهم وتقويته الروحية .. ينشرون فكرهم فيه وينشئون أبنائهم على مفاهيمهم الصريحة ويتحدثون في العقيدة بحرية تامة .. لم يكن في صلح الحديبية أن يتوقف الرسول عن إبلاغ الحق جلياً أو إيقاف زرع الجهاد في النفوس .. لم يكن في صلح الحديبية أن يكف المسلمون عن بيان الفواصل بين دينهم والآخرين .. لم يكن في صلح الحديبية (إسكات الدعوة) أو (تمييعها) من أجل عدم جرح مشاعر الآخرين الـ (ضد إسلاميين) المتوافق معهم سياسياً! لم يقم

الرسول إثر صلح الحديبية بتهنئة أبو جهل بعيد ميلاد اللات والعزى! لم يوفد مبعوثاً إلى فارس يهنئهم بالنيروز راغباً في دعم إمبراطورها له اقتصادياً!

نعم كان وقت صلح الحديبية هناك قوى عالمية كافرة مهيمنة لكن لم يسع الرسول في التحالف معها كي تجر على بلده الخير والاقتصاد عن طريق التنازل عن ثوابته وتمييع مسألة الجهاد واستعلاء الحق على الباطل! لم تكن مسئولية وزارة التعليم وقت صلح الحديبية المخولة بإنشاء أشبال الأمة مصنوعة على يد أبو جهل ولم تكن مسئولية تشكيل وعيها في يد وزارة إعلام أنشاها أبو لهب! إسقاط مفهوم صلح الحديبية لا يمكن أبداً على واقع حزبي ديمقراطي يسمح للضد إسلاميين بالعمل والحكم وتغيير عقائد المسلمين في إطار الدولة القومية الحديثة المؤلهة للمؤسسات!

لقد كان صلح الحديبية هو أشبه بوثيقة عدم اعتداء بين (دولتين حديثتين) لكل منهما أرضهما وسيادتهما .. حتى لو كان هناك تنازل بسيط في بعض الأمور لصالح الآخر -إلى حين- فقد كان هذا التنازل لا يمس أسس دولة الإسلام في مقاتلها : عقيدتها وشريعتها ووعيها بانفصالها واستعلائها على أهل الباطل!

فهل هذا الأمر يشبه من قريب أو بعيد التوافق مع الأحزاب العلمانية الواضحة في عداوتها للشريعة؟!

نحن نتحدث هنا عن مبدأ استخدام حادثتي وثيقة المدينة وصلح الحديبية لتبرير كل تنازل عقائدي وكل تنازل عن شريعة وكل تمييع لحدود الحق والباطل .. إما يقوم المشاركون في العملية الديمقراطية الحديثة باستخراج (فلسفة) صحيحة بمقارنة سليمة بين وضع الرسول ووضعهم .. وإما البحث عن حوادث أخرى تبرر ما يفعلونه .!

فالرسول لم يقف يوماً رافعاً يده في يد أبو جهل وعلى وجهه ابتسامة انتصار متمنياً التوافق لبناء الجزيرة العربية!

هنا يبرز تساؤل : لماذا رفض التوافق في البناء مع المعادي للشريعة إن صدقت النوايا؟ لماذا الاعتقاد بأن الحق مع أنصار الشريعة وليس مع غيرهم من العقائد؟

ببساطة .. لأن من يؤمن بنسبية الحق في العقائد يعتقد في نفسه الألوهية!

(٥) نسبية الحق والإنسان المتأله

إن الإيمان بأن هناك نسبية للحق في العقائد - أي جعل إمكانية تعدد وجود حقيقة في كل عقيدة - والتي تعتبر أسطورة الليبرالية، هي أخطر من مجرد ردة ورفض للإسلام ورب العالمين ..

فالحق بالنسبة للمسلمين المؤمنين نابع من تصورات إسلامية مستمدة من القرآن والسُنة صناعة الله ورسوله .. بالنسبة لغيرهم نابع من تصورات أخرى مُستمدة من الكتب الوضعية المحرفة صناعة البشر .. الحق الذي يؤمن به المسلم وينحاز إليه لا يعترف بأن أي منهج عقائدي وتشريعي آخر يحمل الحق أبداً .. وهذا حق ..

لابد أن يؤمن كل مسلم بهذا يقيناً .. لابد أن يكون منحازاً لعقيدة الحق لا كما يراه البشر .. بل كما يراه رب العالمين الأعلى .. كما صوره الإسلام .. نحن هنا لا نتحدث عن تفسيرات مختلفة لمسائل فرعية .. بل نتحدث عن أحكام شرعية أمرنا الله بها .. أن نوالي طائفة ونعادي أخرى .. أن نحدد من هو العدو ومن هو

الصديق .. ما هو الصحيح وما هو الخطأ في العقيدة والتشريع ..

إذاً الحق تجسد في بشر؟!

لا .. الحق هو العقيدة الإسلامية الصافية من منابعها .. الحق هو الشرع الإلهي .. الله أنزل الشرع الحق ليؤمن به المسلمون وينحازون له رافضين غيره، فاصلين أنفسهم عن دعاة الضلال والمناهج الوضعية الذين يرونها الحق عندهم..

بل وعلى المسلم أن يحاربهم مُظهراً عوار مناهجهم الوضعية التي يرونها حقاً .. لا أن يؤمن بأنهم ربما كانوا على صواب ..

من يؤمن بنسبية الحق في مسائل كالشريعة الإسلامية والعقائد هو ببساطة يجعل مع الله أنداداً ..

فقد أنزل الله غير منزله العظيم، فجعله مجرد فيلسوف مُنظِّر آخر يخترع نظرية عقائدية وتشريعية للحكم يمكن أن تكون صواباً أو خطأً !

بل لم يكتف بهذا، لقد رفع عشرات البشر الآخرين ليصبحوا في نفس مكانة هذا الإله الفيلسوف البشري المتجسد .. إنهم يشرعون كما يشرع .. انهم يزرعون عقائد حقيقة كما يزرع ..

و أخيراً تجيء الخطوة الأهم .. إنه يرفع نفسه إلى ما فوق مستوى

الرب البشري المتجسد وشركاءه .. إنه يجعل نفسه حكماً على أقوالهم وعقائدهم وشرائعهم .. هو يحكم بما هو صحيح أو مقبول منهم وما هو خطأ .. لقد قام بنزع صفات الألوهية والربوبية من الله فكفر به .. ثم قام بتأليه بعض البشر فأشركهم مع الله في الحكم .. وفي النهاية رفع نفسه شخصياً إلى مرتبة كبير الآلهة .. زيوس!

إن هذا المؤمن بنسبية الحق هو شخص مؤله لنفسه وذاته .. وما إدعاؤه لحب البشر واحترامه لهم ورحمته بهم إلا محاولة أخرى لتشبيه نفسه بالرب الرحيم العطوف .. كأنه في منافسة خفية مع ذلك الرب الأعلى الذي يؤمن به كثير من البشر تاركينه هو -ذلك البشري الإله- بلا عبادة ولا حمد برغم عطفه وحبه لهم .. يتصور نفسه في معركة انتخابية مع رب العالمين!

و الله فوقه .. يستهزئ به .. وبتابعيه ..

ولن يحدث توافق ولا بناء أبداً مع أعداء الشريعة أو من يحترم عقائدهم فهم سيقفون حجر عثرة أمام التوفيق الإلهي ومفهوم وطن الراشدين الإسلامي ..

الباب الرابع

متوالية نشر المفاهيم وصناعة الوعي

« الرواية تهذب القارئ على نحو خفي، وبصورة أكثر فاعلية مما تستطيع أن تفعله المواعظ » توماس هوبز متحدثاً عن استخدام ثيوكيديديس للأسلوب الروائي في سرد التاريخ

« الكتب تختلف عن وسائل الدعاية الأخرى أساساً . لأن كتاباً واحداً يمكن أن يغير توجهات وسلوك قارئ بشكل لا يتحقق عن طريق أي وسيلة أخرى الأمر الذي يجعل الكتب أهم سلاح في استراتيجية الدعاية بعيدة المدى »

رئيس العمل السري في CIA - ١٩٦١

(١) المتوالية

تنظير .. أدب .. سينما

هل من المعقول أن يكون الأمل في صناعة الوعي الشعبي للمسلمين مرتبطاً بمقدرتهم على فهم كتب التنظير الإسلامي المعقدة؟

كيف نحول هذه الكتب التنظيرية الجامدة إلى مفاهيم ثابتة راسخة في عقل كل شخص بسيط من الشعب المسلم؟

لابد من تخفيف القالب دون تخفيف المفاهيم .. لابد من جعلها أكثر قرباً من الشعب لا من النخبة ..

هنا يجئ دور الأدب والفن .. دوره في أن يحول هذا التنظير الجامد بفعل التأثير المباشر (كأن يكون الأديب تلميذاً للمُنظِّر أو يكون هو نفسه مُنظِّراً) أو التأثير الغير مباشر (كأن يخرج الأديب في بيئة معينة تحمل هذه المفاهيم فيحولها لأدب دون الانشغال كثيراً بمصدرها) إلى مُغلف براق لامع يسر القارئين ويخطف الأنفاس ويحقق له الشعبية ..

هذه الخطوة الثانية ما هي إلا تمهيد للخطوة الثالثة الأهم على

الإطلاق : تحويل الأدب إلى سينما .. إلى عوالم مرئية يسهل للمُشاهد التفاعل معها دون ضرورة تعلمه للقراءة وصرف أوقات طويلة لها .. إن هو إلا فيلم ساعتين يبقى في الذاكرة إلى الأبد ..

يجيء دور الدولة طبعاً بعد ذلك في ترشيد عدد الأفلام المعارضة لهذا التوجه أو ذاك حسبما تنشد .. إن أرادت أفلاماً عن القومية العربية رعت الأدباء وصناع السينما الذين يمجدون ويعرضون هذا التوجه بطريقة جذابة .. مقابل عدم تسهيل الأمور على التوجه الآخر .. ويختلف الأسلوب هنا من نظام قمعي مباشر كالنظام السوفييتي والناصري والبعثي وغيرهم .. ونظام ليبرالي له وسائل أخرى في القمع المهذب اللطيف الغير محسوس .. تماماً مثلما حدث مع أحد الفنانين الشيوعيين الأمريكان الموهوبين من هجمة منظمة اعتمدت على مبدأ واحد لكنه فعال كذلك : التجاهل المتعمد لكل ما يفعله ومدح أي ناقد له!

لهذا السبب كان الأمريكان وغيرهم يهتمون أثناء الحرب الباردة بصناعة النخب الأدبية والفلسفية في كل دولة أوروبية تابعة لنطاقها .. تلك النخب التي وصفها الجنرال مارشال قائلاً « النخبة هي تلك الجماعة محدودة العدد القادرة وصاحبة المصلحة في المناورة بالأمور المذهبية . هم رجال الأفكار الذين يجذبون الخيوط

الفكرية لتشكيل أو على الأقل تهيئة التوجهات والأراء لدى أولئك الذين يقومون بدورهم بتوجيه الرأي العام «!

وهكذا في هجوم مارشال على المؤسسة المخابراتية الأمريكية المكلفة بصناعة هذه النخب يصف وظيفتها بأنها «العمل على النخبة في كل ميدان لتوجيه أعضائها نحو الفلسفة التي يؤمن بها المخططون، واستخدام النخبة المحلية يمكن أن يساعد في إخفاء الأصل الأمريكي لهذا الجهد لكي يبدو كأنه تطور محلي «!

إذن فالنخب التنظيرية مهمة جداً .. ومهم بالنسبة للدول المهيمنة أن تكون على وفاق فكري معها .. لأن هذه التنظيرات تصنع الأدباء .. وفي النهاية تصنع السينما .. الأداة الأهم في صناعة الوعي الشعبي المعاصر ..

هذه المراحل الثلاث إن انتبهنا إليها ولضرورتها لأصبح زرع مفاهيم الإسلام وقضايا المسلمين أمراً سهلاً ميسوراً .. لا شيء يجب أن يأتي بصورة مباشرة في شكل ثنائية (أستاذ - تلميذ) مع المسلمين المعاصرين إلا في مراحل متقدمة .. لابد من استخدام الوسائل الغير مباشرة أكثر في نشر الرسائل والمفاهيم .. خاصة إن لم يكن المجتمع مهيئاً لها ..

فما هي دلائل ضرورة هذه المتوالية وسوابق حدوثها

(٢) الحالة المصرية

لنأخذ الحالة المصرية كمثال لاختبار هذه المتوالية

المرحلة الأولى .. المُنظِّرون

صناعة النخب التنظيرية مسألة معروفة تحدث الكثيرون عنها قبلاً .. تلك النخب المستنيرة التي نظرت للعلمانية والإلحاد وتحرير المرأة من دينها .. لم تكن المدارس والمعاهد المصرية على سبيل المثال في بداية القرن الماضي جاهزة ومتعلمنة بعد لذا تم تجهيزها في أوروبا بصورة مفضوحة لكن لا حيلة لهم فيها .. ثم جاءت متأثرة بالتنظيرات التي تعلموها وقاموا فقط بتعريبها وإسقاطها على مجتمعاتهم .. هذه النخبة ستصبح بعد ذلك المكون الرئيسي لهيئة التدريس في الجامعات .. ومن تحت أيديهم سيتم تخرج الجيل الثاني : الأدباء ..

المرحلة الثانية .. الأدباء

❑ (١) التأثير المُباشر .. نجيب محفوظ :

بلا جدال يظل نجيب محفوظ هو أهم وأكبر الأدباء المصريين في القرن العشرين وحتى الآن .. تأثيره هائل حتى قبل فوزه بنوبل .. لديه أسلوب ظاهره حيادي في رواية الأحداث .. لن نحتاج للحديث عنه كثيراً فهو عبقري بكل المقاييس تنطق غالب أعماله بالفن وحتى أشد أعداءه لا يملك إلا الإقرار بهذه الحقيقة ..

لكن هل نقل نجيب محفوظ تنظيراً جامداً أيديولوجياً إلى قالب أدبي؟

طبعاً سيكون -مبدئياً- من المستحيل الحكم على كافة أعماله بناء على هذا .. الرجل تطور كثيراً في مراحل عمره .. وما كان يكتبه بوضوح بدأ يختفي في المجاز أكثر في رواية أولاد حارتنا حتى لو كان مجازاً مفضوحاً جداً ثم مع الوقت بلغ أوج تألقه وتطوره في رواية الحرافيش .. حين أنشأ عالماً كاملاً معقداً يصعب فهم علاقته بالواقع .. عالم له واقعه الخاص المفارق للحالة المصرية والملتحم بأجزاء من تاريخها في ذات الوقت!

لكن أعمال نجيب محفوظ الأولى كانت واضحة في تأثرها بالفرعونية وهي (رادوبيس) و(كفاح طيبة) و(عبث الأقدار) .. والفرعونية المتفاخرة هي من أهم أفكار وتنظيرات أستاذه سلامة موسى .. ووضح بعد تتالي أعماله تأثره بالاشتراكية والوفد وغير ذلك من رموز هذه المرحلة العلمانية .. وبكل تأكيد غلب هذا التصور عليه وعلى كافة مراحل تطوره ..

لكن البداية كانت أين؟

كانت عند سلامة موسى وأحمد لطفي السيد وغيرهما من فلاسفة العلمانية الكبار .. هؤلاء كانوا هم كتاب (التنظيرات) وجاء بعد ذلك تلميذ متأثر حولها إلى أدب ثم تناولت السينما هذا الأدب لتقدمه في صيغة براقة .. نفس المتوالية .. تنظير ثم أدب ثم سينما ثم وعي شعبي متأثر بهذه السينما ..

كم يبلغ عدد من قرءوا كتب لطفي السيد وسلامة موسى؟ أربعون ألفاً؟ كم يبلغ عدد من قرءوا روايات نجيب محفوظ؟ أربعة ملايين؟ كم عدد من شاهد أفلام نجيب محفوظ؟ أربعون مليوناً؟

إذن من صاحب الدور الأكبر في صناعة الوعي الشعبي وما مصدره؟

وأصول المشكلة في أدب أمثال الأستاذ نجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس والسباعي وغيرهم .. أن كل منهم تتلمذ بصورة مباشرة أو غير مباشرة على يد الواقع الفلسفي التنظيري العلماني الذي عاشته مصر وقتها على يد النخبة (المستنيرة) التي تتلمذت على يد أساتذة الغرب .. تأمل مثلاً كتاب (مقدمة السوبر مان) لسلامة موسى والذي كان متأثراً فيه بأستاذه الانجليزي حتى في النظرة العنصرية .. ثم تأمل كيف أن هذا سيصبح أستاذاً تنظيرياً هاماً لهؤلاء الأدباء الذين سينقلون مفاهيمه إلى الوعي الشعبي .. ثم أخبرني ما هو المصدر الحقيقي لصناعة الوعي الشعبي طوال القرن المنصرم؟

إنه الغرب نفسه .. لقد قام الغرب بإنشاء منظرينا الكبار ومن ثم صنع نخبة عرفت كيف تصل للمجتمع وتغيره بالسينما .. تماماً كما حكى عنها مارشال ..

وإن كان نجيب محفوظ أكثر حيادية من غيره .. إلا أن مفاهيم مثل الليبرالية التامة ورفض فكرة الإسلام كدين وسياسة وقبول حرية العلاقات الجنسية ظلت كما هي عنده حتى النهاية .. ظاهرة بقوة في جل أعماله .. حتى بعد أن تطور هو نفسه مع الوقت ليصبح ذا تصور مختلف بعيد عن التفسيرات المادية الماركسية ..

❑ (٢) التأثير غير المباشر .. نبيل فاروق :

هل قام نبيل فاروق بنقل (تنظير) فلسفي أيديولوجي إلى (أدب)؟

ستكون الإجابة المبدأية : لا طبعاً .. هو ليس كالبريطاني سومرست موم بالتأكيد ..

كتابات نبيل فاروق الموجهة بشكل رئيسي إلى الشباب صغير السن لا تحمل صبغة أيديولوجية معينة في باطنها .. لا تحمل مثلاً العلمانية أو الإشتراكية أو الليبرالية ثم تحاول نشرها بصيغة المغامرات .. خلفية دكتور نبيل الثقافية التي بدأ منها لم تكن تحمل كبير عناية بهذه الإشكالات .. كما أنه برغم مهاراته الأدبية المبكرة في صغره جاءت مسألة دخوله إلى عالم الأدب الروائي بصورة فيها مصادفة إلى حد كبير .. طبيب شاب وجد مسابقة أدبية قدم فيها أعمال بوليسية بشكل مغاير للمألوف فنجح ودخل عالم الأدب بهذا الأسلوب .. وهذا يعني أنه لم يكن شاباً مؤدلجاً يريد نقل (رسالة) معينة بصورة مُبطنة بداخل القالب الروائي ..

كما أن أكثر الاعتراضات على أدبه تجئ ممن يحمل خلفية نقدية أكاديمية تحمل (مقياساً) للأدب في يدها تقيس به والويل لمن يخالفه! برغم أن الأدب تطور عبر عدة مراحل وله أشكال

كثيرة تجعل من مسألة (بناء الشخصيات) وغيرها من المقاييس المشهورة، أمراً فيه نظر .. كافكا مثلاً كان يجرد الشخصية عامداً من كل ما يجلب إليها الاهتمام حتى جعل اسم بطل أحد أعماله هو مجرد حرف! رفض حتى أن يُطلعك على اسم الشخصية! هو يريد أن يوصل إليك رسالة ومضمون معين بلا تشتت كاسراً قواعد الأدب المعتادة .. ففي النهاية هي قواعد أنشأها بشر لهم رؤيتهم الخاصة! كما أن الأدب الأمريكي المعروف بالمدرسة (البيهافيورية/السلوكية) والذي ظهر بعد الحرب العالمية الأولى وازدهر بقوة والذي كان من رجاله أدباء معروفون أمثال ارنست هيمنجواي وفيتزجيرالد، اعتمد على الأساليب السينمائية في رواياته (تماماً كما يفعل نبيل فاروق) وخاصة اعتماده على روايات التجسس والسلسلة السوداء .. وكان هذا على حساب الشخصيات والمدرسة الأدبية التي ترفض عدم الغوص في كل شخصية منها .. نبيل فاروق على أسوأ المقاييس ينتمي إلى هذه المدرسة الأمريكية .. وهي قد أثبتت نجاحها بالفعل ..

إذن فمسألة الحكم على نبيل فاروق أنه أديب أم لا والتي يناقشها البعض بحماسة هي محسومة إن خرجنا من نطاق الأكاديمية

المتحجر: نعم هو أديب .. أنشأ عوالم خاصة جديدة وأبطالاً تعيش فيها وحصل على شعبية كبرى وسط الشباب .. كما أن رواية مثل (أرزاق) كافية لنفي شبهة السطحية وانعدام الواقعية عنده.. فقد قام ببناء جيد لشخصية بطلها مبتعداً عن السطحية المعتادة في تناول مشاعر الشخصيات المختلفة الجامدة عنده والتي يندر أن تتحول من نمط إلى آخر (برغم سلاسله الطويلة .. ندر تواجد الشخصية المدورة بالمصطلح الأدبي) .. وهي الشخصية التي تتغير من حال لآخر .. وقد فعل ذلك لأنه كان يتوقع لهذه الرواية أن تتحول إلى عمل تلفيزيوني .. أي أنه عرف أن الشريحة التي سيتم مخاطبتها مختلفة وبالتالي زاد من عمق رواياته .. وهذه مقدرة بكل تأكيد تعني أنه كان يعي مُبكراً مسألة مخاطبته للشباب والمراهقين في أعماله العادية وعدم ملاءمة توجيه نفس نوع الخطاب لباقي الشرائح العمرية .. قد يصعب عليه ترك (المدرسة البيهافيورية) لارتباط أسلوبه منها بلا فكاك .. لكنه بالفعل يملك قدرة على تجاوزها في بعض الأحيان ..

مادام نبيل فاروق أديباً .. إذن فمن المنطقي جداً الاعتراف بأنه كان الأكثر تأثيراً بصورة مذهلة بعد عصر نجيب محفوظ! لا

الغيطاني نجح في التأثير على ربع هذه الأجيال ولا الأسواني استطاع الوصول إلى كل هذه الشرائح العمرية الصغيرة بكفاءة لينشيء أجيالاً تحفظ أسماء شخصيات الروايات التي قرأتها بسهولة وسلاسة .. حتى عند بروز منافس شبابي قوي جداً كان في رواياته عمق أكبر مثل أحمد خالد توفيق، لم يستطع برغم هذا الوصول إلى كل تلك الكتلة الضخمة المتنوعة مختلفة المشارب ..

فهل كان بالفعل نبيل فاروق بريئاً تماماً من مسألة الأدلجة وصناعة الوعي الشعبي؟

لا .. ليس بريئاً تماماً .. لكنه في الأغلب لم يكن متعمداً ما صنعه كذلك!

كانت فترة الثمانينات حرجة جداً بالنسبة للمؤسسة الأمنية الحاكمة وعلى رأسها الجيش والمخابرات .. المزاج الشعبي انتشر فيه الأمل في الصحوات الإسلامية وثورة إيران تطل كالشبح المخيف لتلقي الهلع في قلوب الأنظمة الطاغوتية العميلة بأن الفكرة الإسلامية يمكن أن تصنع معجزة كبرى بهدم الجيوش التي هي صمام أمان الهيمنة الأجنبية .. طبعاً بالإضافة لورطة السوفييت في أفغانستان وقتها أمام القوى التي بدأت ترفع شعار العمل الجهادي .. في

مصر بالذات كان الوضع شديد التأزم بمقتل السادات رئيس جمهورية تحوي أقوى جيش عربي وسط جنوده وصواريخه ودباباته بينما طائراته تحلق فوقه في مشهد عجيب من حيث قوة رمزيته .. قتل على يد الإسلاميين بالذات برغم أن قرارات التحفظ والاعتقال التي أصدرها بحق المعارضة حوت أسماء علمانيين واشتراكيين ونصارى بل كان فيها رأس النصارى المصريين برغم ما كان يمثله الأنبا شنودة وقتها من عشق لأساليب الإرهاب وصنع المشاكل الداخلية والاستقواء بالخارج .. كل تلك الطوائف لم تصل له ولم تنفذ ذلك المشهد الختامي المبهر لديكتاتوريته بينما فعلها الإسلاميون أصعب الطوائف دخولاً إلى الأجهزة الأمنية!

كان على الجهاز الأمني المصري إذن أن يجهز نفسه لمعركة ضخمة بعد مقتل السادات مع (الإرهابيين) من وجهة نظره .. وفي مثل تلك الحالات كان لابد من صنع (وعي شعبي) يضع ثقته كلها في يد أجهزة الأمن والمخابرات بالذات .. المسألة لم تعد فقط تخص الجيش بل تخص الجماعة المخططة لسياسات الدولة .. تخص الدولة العلمانية كلها .. لن يحدث ما حدث لسافاك الشاه .. لهذا ظهرت على السطح مسلسلات وأفلام تمجد في إمكانات المخابرات العامة

وبطولاتها وتزيد من شعبية الجهاز الأمني الأشرس في مصر.. لم يكن ينطلي هذا طبعاً على أوساط المثقفين لكن ربما كان علمهم بالغرض الحقيقي من هذه الحملة الكبرى لبناء الثقة، وهو ضرب الإسلاميين بكل أريحية بل وبتشجيع شعبي بعد ذلك، هو السبب في غض الطرف.. خاصة أن جهاز المخابرات في أغلب رواياته لم يكن يكذب .. لكنه لم يكن يظهر الجانب القذر في عمله كذلك لتثبيت عرش الحكام الظلمة الديكتاتوريين ..

في وسط هذا العصر الحرج ظهرت كتابات نبيل فاروق .. متأثرة بما حولها من أجواء صناعة أسطورة المخابرات .. غير مؤدلجة في إطار ضد إسلامي لكنها كذلك تبني المزيد من الأساطير الخيالية عن عمليات استخباراتية مصرية حالية (في زمنه طبعاً) بل ومستقبلية (في زمننا نحن الذي تخيل الأديب أن تكون مصر فيه هي أقوى دولة في العالم بمخابراتها العلمية!)

إذن روايات نبيل فاروق لها مُنطلق تنظيري تحول إلى شعبي هي الأخرى .. لكنه مُنطلق تم تخطيطه في جهاز مخابراتنا والتقطه الأديب الكبير مع الملتقطين وسار عليه .. طبعاً لا يمكن تبرئة جهاز المخابرات المصري من مساعدته واستخدامه خاصة أن الأستاذ

قد حكى عدة مرات عن لقاءات مبكرة بينهما وملفات لعمليات قاموا بإطلاعه عليها! جهاز المخابرات المصري كان بالفعل يدرك ما يفعله باستخدامه الأديب الموهوب .. يبني أجيالاً تضع ثقتها في يد أجهزة الأمن وبالذات المخابرات .. أجيالاً تعتقد أن بطل المخابرات المصرية هو أدهم صبري البطل العربي المثالي الأصيل الذي يواجه كافة قوى الغرب والشرق وإسرائيل لمنع تدخلها في قرار الحكام المصريين المخلصين .. قبل أن تفاجأ هذه الأجيال عند ثورة يناير بأن بطل المخابرات المصرية كان هو عمر سليمان السفاح الكبير الذي يواجه كافة قوى الخير لمنع تدخلها في سيطرة الشرق والغرب وإسرائيل على مصر وحماية الحكام المصريين أمثال جمال مبارك وأحمد شفيق!

يبدو كذلك أن نبيل فاروق نفسه أصيب بهذه الصدمة في نهاية عهد مبارك .. فتغيرت تيمة سلاسله قليلاً عند نهايتها وأصابها الاضطراب والتشكيك في كل شيء ومنها الأجهزة الأمنية خاصة في سلسلة ملف المستقبل .. لقد عبر اضطراب المشهد الختامي للروايات وتشكيكها في مسلمات البنية القائمة عليها السلسلة كلها عن حجم الاضطراب الذي أصاب الدكتور في هذه الفترة خاصة بعد مأساة مرضه الشخصية .. لقد استخدمه منظري (الديكتاتورية)

الاستخباراتيين لنقل تنظيراتهم وتغليفها في إطار (أدبي) بوليسي محترم جذاب بصورة طاغية .. لكن انهيار دولة مبارك فضح كل شيء لأصحاب الوعي .. هكذا حاولت المخابرات استعادة بعض البريق المفقود بعد الثورة بصنع فيلم تسجيلي دعائي عن بطولاتها لكنه مر كالسراب من الوعي الشعبي .. ويوضح لجوءها إلى هذا الأسلوب الدعائي المفضوح - وهو ما حاوله المجلس العسكري الحاكم وقتها أيضاً بأفلام تسجيلية مشابهة - مدى هشاشة تلك الدولة الأمنية بعد الثورة .. وحجم جريمة من ثبت أركانها وأعاد لها العافية مرة أخرى!

المرحلة الثالثة : السينما

لنبدأ بنماذج من السينما المصرية وما تحويه من دلالات :

❑ (١) فيلم الناصر صلاح الدين :

هل هناك خداع حقيقي أكبر من تحويل الصراع الصليبي ضد المسلمين إلى صراع وطني لا أثر للدين في جوهره؟

هذا هو فيلم (الناصر صلاح الدين) الشهير .. الفيلم الذي ظهر في

فترة (القومية العربية) عام ١٩٦٣ .. وحمل قدراً مذهلاً من الرسائل التضليلية الصارفة عن حقيقة الصراع الإسلامي - الصليبي ..

ولا رسالة أقوى من أن يُصبح القائد المقرب من صلاح الدين مسيحياً يقاتل ضد الأوروبيين!

لماذا يقاتلهم؟ لأنه عربي يُقاتل مع العرب من أجل الدفاع عن (وطنه العربي)!

لا أثر للدين إذاً في جوهر الصراع!

بل إن الجنون يصل إلى ذروته بإظهار ريتشارد قلب الأسد القائد الصليبي السفاح على أنه مُجرد (مسيحي تقي خُدع باسم الدين)!

فكيف يصبح (صلاح الدين) مُدافعاً عن العروبة وهو كُردي غير عربي؟ لقد تم تجاهل هذه الحقيقة الواضحة وتم تعريب الرجل عنوة في هذا الفيلم لا لشيء سوى لإخفاء الرابط الحقيقي بينه وبين العرب ألا وهو الإسلام .. وبالتالي إخفاء جوهر الصراع ..

فلا صلاح الدين كان عربي .. ولا الصراع كان يتم باسم الدين لله والوطن للجميع .. ولا الجيش كان يضم قادة مسيحيين .. ولا كانت الحروب الصليبية من أجل أموال .. بل كان يُصرف عليها ما لا يُتخيل من تجهيزات ويكفي أن تتصور زحف عشرات الجيوش

لعدة دول أوروبية كبرى عبر أوروبا أو البحر المتوسط وعلى رأسها خير الأمراء والعسكريين لتعرف هول المشهد وحجم التكاليف المطلوبة لحملات كهذه .. فأي كنز هذا الذي كانوا يبحثون عنه؟! لقد كانت حرب باسم الصليب ومن أجل الصليب .. تواجهها حرب باسم الإسلام ومن أجل رفعة دين الحق على دين وثنية الصلبان ..

ما هذا الفيلم إذن إلا حلقة جديدة من حلقات تحويل (التنظير) العلماني القومي إلى (سينما) براقة رائعة تتغلغل في نفوس الشعب المُراد صنع وعيه وتشكيله في قالب (علماني عروبي قومي) ..

❑ (٢) فيلم رد قلبي :

تأسيس نظرية هزيمة الأرستقراطية العفنة المتكبرة الظالمة متمثلة في عهد الملك على يد الفرسان النبلاء الشعبيين أبناء الطبقات الفقيرة المتواضعة ممثلين في الضباط الأحرار .. بمعنى آخر : تحويل هذه الأسطورة النظرية الكبرى التي سيتاجر بها الجيش لبقائه في الحكم عشرات السنوات بعدها .. إلى أدب جذاب مقروء .. ثم إلى النهاية الحتمية في فيلم سينمائي مؤثر خلاب ..

❑ (٣) فيلم الأيدي الناعمة :

عام ١٩٦٣ مرة أخرى .. الأمير (البرنس) الأرستقراطي من بقايا الملكية الساقطة والذي يعيش في مجتمع (عبد الناصر) الذي صعد بالبروليتاريا وجعل المساواة بين الجميع هي الأصل .. بل إن الفارق بين ذو الأيدي الناعمة (الأمير) وبين ذو الأيدي الخشنة العامل في هيئة السكة الحديد يصب لمصلحة الأخير بكل تأكيد ..

حسناً .. معانٍ لطيفة جداً .. لكن هل كان لها أثر على أرض الواقع .. أم كان هذا هو مجرد فيلم (أيديولوجي) آخر يحول تنظيرات (حتمية انتصار ثورة ١٩٥٢) وتنظيرات (انتصار البروليتاريا في عهد ناصر) إلى فيلم سينمائي لطيف ذو قصة مشوقة؟

وماذا تبقى بعد تلك السنوات في الذاكرة مؤثراً بقوة في الوعي الشعبي .. تنظير القوميين العرب وكتبهم أم الأفكار المُقدمة في فيلم (الأيدي الناعمة)؟

(٣) المتوالية الغائبة

أين في المقابل الأدب الإسلامي المقابل لكل هذا؟

نعم هو غائب .. لكن لهذا أسباب متعددة ..

فقد مر الإسلاميون بعهد طويل من الظلام والقهر، كان فيها المُعتقل والتعذيب أو الانغلاق المجتمعي والملاحقة الأمنية هي مفردات المشهد، لا أحد يبدو قادراً على تصور أدب آخر وقتها غير أدب المعتقلات والتعذيب الوحشي .. الحكومات الإسلامية كانت مُصرة على تجفيف المنابع مبكراً والقضاء على الرموز القيادية المحتملة إن كانوا من النوابغ ..

كما أن أدب المعتقلات وحجم المآسي الضخم كان يعرقل مسألة وضع أدب منتظم مجاوز لهذه المصيبة الكبرى التي يعيش فيها الفرد .. من ذا الذي سيكتب قصص عن الحب الشريف أو يصف بلابل وزهور وعوالم أخرى وهو يعيش مهدداً بالاعتقال والتعذيب طوال الوقت؟

فبين إسلامي حركي يغلب عليه النشاط ويقل عنده التفكير الطويل، خاصة أن التنظيمات الهرمية الحركية عامة لا تحب من يستقل بتفكيره كثيراً ولا تشجعه، وبين إسلامي منغلق على عالم تم بعثه من العصور القديمة ليعيش فيه بين طيات كتب التراث منفصلاً عن واقعه ومجتمعه، وبين إسلامي مُفكر سلبي ذائب تماماً في مجتمعه لا يستطيع تغييره يتلقى منه منتجاته فقط، وبين إسلامي يعيش مأساة الملاحقات الأمنية لتشبثه بفكرة الرد العسكري على الهجمة العالمية على دينه ورؤيته لعدم جدوى أي حل آخر .. كان هذا هو الغالب على الإسلاميين ..

وحتى التنظير الكثير الذي وجدوه لم يحاول الكثيرين نقله إلى الخطوة الأخرى الضرورية .. نقله إلى فن الأدب .. ناهيك طبعاً عن السينما .. ومن حاول قام باستدعاء حوداث وأقصوصات من عصور السلف أو الأنبياء ليقصها رافضاً أحياناً لفكرة الإبداع خارج هذا النطاق .. بل حصر الإبداع في كيفية عرض هذه الأقصوصات بطريقة مبهرة تشد الناس وتجذبهم ..

إن تضييع مزيد من الوقت في عدم تشجيع نقل هذا التنظير الذي يملكه الإسلاميون إلى أدب ثم سينما هو هدر غير معقول بعد

تجارب تلك السنوات الطوال .. الانتقال إلى حالة (صناعة الوعي الشعبي) مفقودة بالمقاييس الحديثة .. لازال البعض يصر على أن المساجد هي الأسلوب الأفضل لكن هناك فئات كبرى تمثل غالبية شرائح المجتمع لن تقبل ذلك الأسلوب الدعائي التقليدي .. لابد من كسر قيود التقليدية والنظر إلى الأدب الروائي والفن السينمائي بصورة جادة جداً ..

ومن غير المعقول منع العمل السينمائي والأدبي ابتداءً بسبب الخلفية السيئة عند الإسلاميين بشأن هذا النوع من الفن .. هناك حيل سينمائية كثيرة ومتنوعة يمكنها تجاوز كافة المصاعب الشرعية المعروفة .. تعرف مثلاً على تلك الحيلة التي استخدمها صانع فيلم (النساء) الأمريكي ليمنع ظهور أي عنصر ذكوري واحد طوال الفيلم حتى لو كان مجرد طفل!

هناك حيل عديدة بالفعل .. حيل فنون السينما والكارتون والأدب لا متناهية تُمكن أي شخص موهوب من جعلها ملائمة للشريعة الإسلامية بلا أدنى مشكلة .. لكن ترك هذا المجال كلية هو السذاجة بعينها ..

كذلك لابد أن تكون هناك - في الدولة الإسلامية - رقابة

مشددة على (مصادر التنظير) .. فمن غير المعقول أن يتم فتح الباب لأديب تربيته كانت حصرية على كتابات ماركس وإنجلز أو جون ستيوارت مل ومونتسكيو! إن التحكم في مصادر التنظير وبالتالي التحكم في العملية التعليمية وتكون النخب لن يتم إلا على يد سلطة دولة .. وأي محاولة أخرى ساذجة من طراز عبث الحريات الليبرالية وترك كل متلاعب بالشباب يأخذ فرصته كاملة ثم الادعاء أن (فكره لن يحارب إلا بفكر) أثبت التاريخ والواقع فسادها مراراً .. يجب أن تكون هناك رقابة بالتأكيد على الأدب الذي يحوي مصادر تنظير مخالفة للشريعة .. الشيطان غالباً حلو الحديث ودائماً ما يرتدى حلة براقة تعمي الأبصار عن الحق أحياناً ..

لكن ألا ينبئ هذا ببروز خطر محاكم التفتيش؟

بكل تأكيد الإفراط في هذه الرقابة مُضر .. ولا يوجد أديب سيبدع بجدية وهو شاعر بمقص الرقيب فوق رقبته!

والحل هو التحكم مبدأياً في التنظيرات والخلفيات الممكن السماح لها بالانتشار .. ثم ترك كل أديب يبدع كما يشاء .. المهم أن تكون خلفيته الإسلامية قوية وإيمانه بالقضية بشكل عام على ما يرام .. دون الخوض الرقابي في مسائل مذهبية وانتمائية لأي تيار

أو جماعة .. المهم أن يكون من أهل السنة عامة ..

إذن المطلوب هو رقابة على بوابة الداخلين إلى حديقة فن الأدب والسينما .. لا رقابة عليهم بداخل الحديقة تضرب على أيديهم في كل حين لتمنعهم من الإبداع وتجعلهم يعيشون في رهبة .. فليكن هذا هو دور المجتمع وعلماء الدين لتقويمه إن اشتط في خطئه .. لا مهمة الدولة ..

لكن هل معنى ذلك أن الإسلاميين يستطيعون بمجرد كتابة الأدب، غزو عقول هذا الوعي مباشرة؟ هل من السهل إعطاء الكثير من مفاهيم الإسلام الكبرى عبر الأدب مهما كانت صادمة لواقع الأمة حالياً؟

لا .. لن يكون الأمر سهلاً أبداً .. وسيحتاج الإسلاميون لاحترام أحد أهم فنون تغيير الوعي الشعبي : الكوميديا ..

(٤) الضحك ، حصان طروادة!

كيف يمكن تقديم فكرة صادمة جداً وغير معتادة للمجتمع بحيث يتقبلها مع الوقت أو على الأقل لا يثير موجة هائلة من الثورة والرفض؟

هل يقوم التنظير وقتها بالاختفاء في قالب أدبي درامي؟ أم عاطفي؟ أي الأشكال أفضل؟

هناك عدة طرق طبعاً والحيل حدودها براعة الإنسان .. وبراعة الأديب والسينمائي في إخراجها معلبة يقبلها الشعب هي الفيصل النهائي للنجاح .. لكن بكل تأكيد الكوميديا دوماً كانت الأكثر نجاحاً في تطبيع ما لا يمكن تصديقه ..

هناك مثلاً فكرة الشذوذ الجنسي .. المزاج الشعبي الطبيعي يرفضها حتى في الولايات المتحدة نفسها .. برغم كل نجاح السينمائيين والأدباء في تطبيع الشذوذ بين طوائف وفئات ضخمة في الشعب الأمريكي إلا أنه لازال الرافضين عدد لا يستهان به .. وما

تحقق نجاح تطبيع هذه الفكرة بصورة موسعة حقيقية إلا مع نهاية القرن الماضي .. عندما بدأت أمثال (إيلين ديجينير) الشاذة تقوم بعمل مسلسل كوميدي يُضحك الشعب ويعلقها به .. ثم مع مرور المسلسل الشهير نكتشف أنها شاذة جنسياً .. بعد ارتباط الجماهير بها وبمواقفها ومقالبها المضحكة .. من نفس هذا العالم تجيء واندا سيكس .. الكوميديانة الشاذة الشهيرة .. كلتاهما خلقتا قبولاً شعبياً لتطبيع مسألة الشذوذ وقبول الشواذ حتى بين من يرفضون هذا الأمر ..

نفس الأمر يقوم به آدام ساندلر الكوميديان الأمريكي المعروف .. برغم عدم شذوذه إلا أن هناك تيمة واضحة في أغلب أفلامه لتطبيع الشذوذ بتقديمه في إطار كوميدي .. في الحين الذي عشيت فيه جودي فوستر إعلان شذوذها لوقت قريب كان هؤلاء الكوميديين يقومون بتطبيع الشذوذ الجنسي بكل قوة وثقة واستمرار .. الفكرة المخيفة مغلفة بقالب مضحك يصعب على النفس التجهم عند رؤيته ..

هكذا ينتقل تنظير (تطبيع الشذوذ الجنسي) من فكرة نخبوية

تجريدية إلى حياة في قصص وروايات ثم إلى متعة مضحكة ومثيرة في السينما ..

ربما لهذا السبب بالذات كان استخدام عادل إمام في منتصف التسعينيات - حين حمي وطيس المواجهة النهائية بين النظام والقوى الإسلامية بشكل عام والجهادية الداخلية بشكل خاص - ليقدم فيلماً كوميدياً صنع جرحاً غائراً في وعي الشعب المصري نحو الإسلاميين .. حين لم يجرؤ الأغلبية من أهل الدراما على تقديم هذا المشهد الهجومي على الإسلام ومظاهره بتصويره كدين عنف وإرهاب، وتصوير أعداءه على أنهم أهل الاعتدال .. فعلها هو بقالب كوميدي مضحك .. واستمر على خطاه لسنوات طويلة حتى لم يعد يخلوا فيلم له تقريباً من مشهد يسخر فيه بطريقة كوميدية من أحد الشعائر أو أهل الالتزام ..

فعلها عادل إمام بكفاءة واستطاع جعل المزاج الشعبي يقبل (تطبيع) السخرية من الرموز الإسلامية .. كانت الكوميديا مرة أخرى هي حصان طروادة الذي يقتحم حصون الوعي الشعبي وتصنعه .. تحول تنظير فرج فودة إلى أدب لينين الرملي ووحيد حامد ثم لثقله على الوعي الشعبي الذي يحترم الإسلام تم استخدام

الحصان الخشبي الأشهر لتقديمه في السينما : الكوميديا ..

لقد قام أهل الكوميديا فعلاً بنقل وصف (الإرهابي) من النظام القمعي إلى (الإسلامي) الذي يواجهه .. في أمريكا نقلوا وصف (الشاذ) من اللوطي والسحاقية إلى (الطبيعي) الذي يحاربهما .. أصبح من يرفضهما هو (الشاذ) لأن (الطبيعي) لابد أن يقبلهما! نجحت الكوميديا فعلاً في قلب مفاهيم كان يبدو استحالة قلبها منطقياً ..

فإن كان هؤلاء يعرفون خطورة الكوميديا .. فما بال الإسلاميون ينظرون لهذا الأمر دائماً على أنه لعب وهذر؟ أن بعض أطروحات الإسلام الآن يعترف الجميع بأنها غير مقبولة لشعوب ما بعد الاستعمار الغارقة في علمانيتها .. لهذا يسلمون بضرورة تدرج الشريعة .. فلماذا لا يتم استخدام سلاح الكوميديا السينمائية لغزو القلوب والعقول المغلقة ولصناعة وعي شعبي حقيقي يعظم مفاهيم الإسلام.

(٥) المتوالية عالمياً

• على المستوى العالمي .. هل توجد دلائل على هذه المتوالية؟

مر الغرب بشكل عام بعدة مراحل فلسفية عاشها.. كان منها (ما بعد الحداثة) .. منذ سنوات قليلة ظهرت إرهاصات على أننا نعيش مرحلة (بعد ما بعد الحداثة) كذلك!

لكن ما هي فلسفة ما بعد الحداثة؟ ما هو تنظيرها؟

تقوم هذه الفلسفة على عدة مبادئ مثل تفكيك المفاهيم والدلالات .. جعل الصيرورة هي مركز الكون .. أي أن كل شيء سيتغير .. كل كلمة دالة على معنى ومفهوم معين مصيرها التغيير فيتم تفكيك معناها وبالتالي ينفصل الدال عن المدلول .. هذه هي ما بعد الحداثة بشكل مخل جداً ..

مَن منا إذن يعرف جاك دريدا أحد فلاسفة التفكيك وما بعد الحداثة؟ كم شخص على مستوى العالم كله قرأ كتبه وتنظيراته الجامدة؟

ومن الذي حول هذه التنظيرات إلى أدب وفنون؟ ثم من الذي حولها إلى سينما؟

إن دراسة جدية لحجم التأثير المختلف لكل من (التنظير) و(الأدب) و(السينما) يجعلك تعرف أهمية العنصر الأخير في الوعي الشعبي العالمي بأكمله ..

ولنأخذ جولة مثلاً في بعض أفلام السينما الأمريكية المابعد حداثية .. تلك الأفلام الخلابة والتي تحوي بداخلها مفاهيم هذه الفلسفة الخطيرة لكن بصورة مبسطة قابلة للابتلاع والمضغ من قبل الشعب :

❑ (١) فيلم (هاري بوتر Harry potter) :

نعم ستنفعل كثيراً جداً مع الشخوص اللطيفة التي تمثل جانب الخير في الرواية .. ستنفعل مع مأساة (هاري) الشخصية وقصة الحب الخفية بين (رون) و(هرميوني) .. قد تبدوا هنا المفاهيم واضحة في ثنائيات (خير -شر) أو (حب- كره) لكنك تنسى أن الفيلم أساساً جعلك تعتبر السحر أمر لطيف ومقبول! عزيزي .. هنا الخير هو ساحر يستخدم تعويذات من الكتب الملعونة للقرون الوسطى! فقط كانت البراعة أنه في وقت مبكر جداً تم فصلك عن العالم الطبيعي

وإظهار قبحه الشديد في أهل (هاري) مقابل جعل العالم المرح الصاخب المُبهِر هو عالم السحر!

حتى في هذا الفيلم بأجزائه السبعة تم استخدام طريق ملتف جداً لـ (قبول) الآخر و(التطبيع) معه حتى لو كان ساحراً يعيش حياته لتعلم هذه التعاويذ! وما يزيد من قرائن نفي براءة هذا الفيلم مسألة التشويه المتعمد لعالم البشر الطبيعيين في مرحلة مُبكرة جداً .. ليغيب الحاجز بين (الطبيعي) و(الشاذ) فينفصل مدلول كلمة (ساحر) لديك عن دلالته!

❑ (٢) فيلم شريك Shrek :

ما هو السيئ وما هو الجيد في فيلم (شريك Shrek)؟

ما هو الخير وما هو الشر؟

كيف يصبح الانتصار هو العودة للوجه القبيح وترك العالم النظيف الطبيعي إلى عالم المستنقع القذر؟

كيف يصبح التجشوء واخراج الريح والاستحمام في القاذورات وأكل الدود وكرات العيون هي مفردات الطبيعة المرحة التي يمكن تفهمها بل والتفاعل معها وقبولها بينما الإنسان المعادي لكل ذلك هو الشر المتزمت المتعصب؟

هل هناك فصل للدال والمدلول في كل مناحي الحياة أكثر من هذا؟ هل هناك تفكيك لكافة المفاهيم أكبر من هذا؟

القبح هو الجيد والجمال هو السيئ .. الأفعال الشاذة المذمومة هي الممدوحة المستحسنة والأفعال الطبيعية هي المستهجنة!

هل هناك (ما بعد حداثة) أكثر من هذا؟ هل يخلو هذا الفيلم من الأيديولوجية وزرع الأفكار وصناعة وعي شعبي معين عن طريق تغليف تنظير الفلاسفة الجامدين بغلاف القصص اللامع ثم غلاف الأفلام بالغ الروعة؟

❑ (٣) فيلم أوتيل ترانسلفانيا :

مرة أخرى مع أفلام الكارتون .. مع فيلم (أوتيل ترانسلفانيا Hotel Transylvania) .. حين يصبح دراكيولا مصاص الدماء والزومبي وباقي الوحوش هم رموز العالم الذي يتفاعل معه المُتفرج ويحبه .. حين يصبح قبول البشر لتلك الوحوش هو الأمر المُنتظر الذي يجعل المُشاهد يشعر بالراحة والسعادة! بل يذهب الفيلم إلى ما هو أبعد بمشهد رمزي قوي حين يقوم البشر بمساندة مصاص الدماء عن طريق حجب ضوء الشمس عنه .. مسألة (قبول الآخر) مهما كان شاذاً هنا واضحة جداً .. فهل هناك شذوذ أكثر من وحش

مصاص دماء ومستذئبين؟ تيمة (ما بعد الحداثة) مرة أخرى طافحة في الفيلم .. ما هو الشر وما هو الخير حقاً؟ ألا يمكن أن يكون دراكيولا مصاص الدماء هو الخير بينما من يعاديه هو الشرير؟ مزيد من الفوضى في المفاهيم وفصل مدلول كل كلمة عن ما تدل عليه .

❑ (٤) فيلم (الرجال اكس Xmen) :

هذا الفيلم بالذات رموزه قوية جداً شديدة الوضوح في ما بعد حداثيتها .. لا خير حقيقي ولا شر حقيقي .. لا شاذ ولا طبيعي .. الطبيعي هو الشاذ والشاذ هو الطبيعي .. المطلوب هو (قبول) الآخر و(التطبيع) معه بفصل معاني كلمات كل كلمة عنها .. لماذا تعتبر ذلك الشاب ذو الأجنحة هو الشاذ بينما أنت الطبيعي؟ لماذا لا يكون هذا الرجل الأزرق المُستذئب هو الخير بينما البشري المُتأنق الذي يرفضه هو الشر؟

هنا يظهر في مسار الفيلم كله مفهوم (الصيرورة) كمركز للحكم على الأشياء .. كل شيء يتطور باستمرار فلا يصلح وصف هذا التطور بالشذوذ! مرة أخرى الفلسفة المابعد حداثية وكمونها في روايات ثم أفلام شعبية تجارية تنشر هذه الفلسفة على نطاق

واسع دون الأسلوب التوجيهي الممل المرفوض .. تنشرها في صورة مشاهد مُبهِرة لكباري تتراقص في الهواء وعنف يخطف الأنفاس من تلاحقه وروعة تصويره .. وعن هذه الملحوظات وغيرها كتب المفكر الفرنسي جورج كلود جيلبرت مقاله : الرجال اكس .. أبطال ما بعد الحداثة ..

• إذن فحتى بالنسبة للوسط العالمي .. المرور بهذه الخطوات هو الضروري والأفضل لصنع الوعي الشعبي .. التنظير .. الأديب والفنان المتأثر .. ثم أخيراً السينما .. لا غنى عن هذه الخطوات الضرورية .. مسألة الاعتماد على التلقين في العصر الحديث غير مضمونة التأثير والقوة .. إن أردت نقل الفكر إلى مستوى الشعوب لا مستوى النخب فلابد من اللجوء إلى هذا الطريق المُلتف .. والمضمون كذلك .. بهذا يمكن صناعة وعي المسلمين بقضايا أمَّتهم في قوالب متكررة المعنى متغيرة المضمون والأسلوب .. يمكن نشر المفاهيم السليمة بين المسلمين مهما صعب قبولها حالياً .. ستساعد تلك المتوالية في غزو القلوب وصنع نقلة حقيقية داعمة للدولة النواة ..

(٦) نقاش حول المتوالية

يتبقى فقط نقاش مهم جداً لهذه المتوالية، وسأقوم بوضعه على شكل عناوين اعتراضية ومناقشتها :

❑ الاعتراض الأول (لا للتمثيل .. لا للسينما) :

من الممكن الاعتراض على اللجوء للسينما كوسيلة (جاهلية) في نشر المفاهيم لا توافق بينها وبين الإسلام، وبالتالي ليس من المفروض أن نستخدم أداة محرمة مهما كان حجم نجاحها وذيوع صيتها وسأكرر جزءاً من المقال لضرورة توضيحه :

« هناك حيل سينمائية كثيرة ومتنوعة يمكنها تجاوز كافة المصاعب الشرعية المعروفة .. تعرف مثلاً على تلك الحيلة التي استخدمها صانع فيلم (النساء) الأمريكي ليمنع ظهور أي عنصر ذكوري واحد طوال الفيلم حتى لو كان مجرد طفل!

هناك حيل عديدة بالفعل .. حيل فنون السينما والكارتون والأدب لا متناهية تُمكن أي شخص موهوب من جعلها ملائمة

للشريعة الإسلامية بلا أدنى مشكلة .. لكن ترك هذا المجال كلية هو السذاجة بعينها .

لم أطالب بمحاكاة (السينما) المناوئة المنفلتة من الشريعة، بل طالبت بصنع سينما محافظة على الثوابت والشريعة ..

و إن كان الإعتراض على مسألة (التمثيل) مبدئيا فلا أعتقد أن في هذه المسألة من المفترض التعصب فيها على رأي فقهي معين وقد أقرها بعض من علماء المسلمين قبلاً .. ولابد أن نؤكد دائماً وأبداً أن وطن المسلمين المنشود ينتمي لأهل السنة والجماعة بمفهومه الأوسع لا بمفهوم ضيق محصور على فريق أو مذهب أو منهج معين في هذا الطيف الواسع ..

❑ الاعتراض الثاني (الفن مؤامرات ومؤامرات مضادة!)

من الممكن كذلك الاعتراض بأن جزئية تحليل الأفلام قامت بتحميلها فوق ما تحتمل .. هي مجرد (فن) .. وهو ما يعني أن هذا الفصل مزدحم بنظريات المؤامرة فتصبح المتوالية نفسها فاشلة حيث إنها مجرد مؤامرة مضادة ..

فأما بالنسبة لنظرية المؤامرة والهاجس .. فلقد قام المسيري من

قبل بتقديم تفسيرات قوية جداً وفلسفية وتفكيكية لقصائد وروايات وسيرته الذاتية مليئة بذكر أمثلة .. رسالة الدكتوراة الخاصة به كانت عن شاعر أمريكي شاذ جنسياً وكان يقوم بتحليل مشهد الممارسة الشاذة في شعره تحليلاً فلسفياً محاولاً كشف ما هو (كامن) في النص أو كما قال (دريدا) الفيلسوف « لا شيء يخرج عن النص » .. فهل كان المسيري مصاباً بالبارانويا هو الآخر حتى يقوم باكتشاف فلسفة كبرى من مشهد إباحي شاذ؟

ولم يكن المسيري أول من فعل هذا وبوضوح تم ذكر الأستاذ الفرنسي جورج كلود حيث قام بتحليل قصص الرجال اكس على أنهم أبطال ما بعد الحداثة وله مقال شهير عن هذا .. فهل هو مصاب بالبارانويا هو الآخر ويسيطر عليه التآمر حتى ينظر إلى الأدب -بل إلى مجرد (قصص كوميكس)- والفن والسينما بصورة الحامل لمفاهيم فلسفية خطيرة؟ ذكرت قبلاً هربرت شيلر وهو كاتب أمريكي كتاباته كلها تقريباً -تقريباً واحد منها فقط مترجم إلى العربية- تدور حول مسألة كشف ما يحمله الأدب والإعلام من أهداف فلسفية كامنة ..

في الخمسينيات والستينيات كانت هناك حرب على (النخب

حارتنا) بالذات أكبر مثال على هذا! لأنها حملت رؤية لانتصار العلم على الرب في النهاية وهي رسالة واضحة لفكره ونظريته وقتها ..

إن نفي وجود غرض (نظري) للكاتب الأديب هو نفي لنظرية (النموذج الكامن المهيمن) عليه .. التفكيك نفسه يقع في ورطة إن تمت الموافقة على هذا النفي .. قبل موت المسيري كان قد كتب مقالاً يقوم فيه بتفكيك فلسفي لمغنية راقصة وكيف أن رقصتها تدل على كذا وكذا .. فهل كان هذا تحميل لـ(فن) فوق ما يحتمل من تفسيرات فلسفية لرقصة امرأة؟

❑ الاعتراض الثالث (رولنغ! إنها مجرد صدفة) :

و من الممكن الاستفسار عن السبب في ذكر هاري بوتر على سبيل المثال بينما كاتبة هذه السلسلة دخلت المجال الأدبي بمحض الصدفة وكيف يعتقد أنها تحمل مفاهيم أدب ما بعد الحداثة في رواياتها؟

لمثل هذا الاستفسار بالضبط قمت باختيار نبيل فاروق في المثال الثاني .. لأنه (أديب) متأثر بصورة غير مباشرة .. متأثر بما يعيشه من واقع نشأ من نظريات فلسفية أو استخباراتية .. وقد دخل إلى الوسط بالصدفة وهو نفس ما حدث مع كاتبة هاري بوتر .. ليس

كل أدب (مكتوب) بطريقة تتعمد وضع الرسائل بأسلوب مباشر .. وقد كانت الكاتبة متأثرة بعالمها المابعد حداثي بصورة أو بأخرى وهو سبب ذكري لهذا المثال .. التأثر الغير مباشر .. كما أن نبيل فاروق لم يتعمد أبداً وضع ثقتك اللانهائية في يد المخابرات وهو يضحك ضحكة شريرة مع عمر سليمان في مبنى المخابرات العامة! هو متأثر بعالم أوائل الثمانينات المزدحم بفكرة أساطير المخابرات منقولة إلى أفلام ومسلسلات .. ما يقال عن نبيل فاروق يقال عن رولنغ بالحرف تقريباً!

❑ الاعتراض الرابع (شرعنة الطغيان) :

كذلك من الممكن أن يبرز اعتراض هام وهو أن هذه الفكرة قد تضفي الشرعية على صناعة الطغاة لكن بأسلوب إسلامي، وهذا اتّهام خطير، ولقد حاولت توضيح رفضي لهذا بطلبي أن يمتلك الأدباء حريتهم الكاملة في الكتابة بعد مراقبة أولية فقط لمخزونهم الشرعي .. لم أقل أن الأدباء سيكتبون لصالح الحاكم أو الدولة .. كل منهم (حر) في تقديمه لما يريد طالما لم يخالف الشريعة فما المشكلة في هذا .. وحتى رقابته بعد هذا لا وجود لها إلا من قراءه وعلماء الأمة وهذا شبيه بما يفعله الأزهر منذ الستينيات

مع الكثير .. لماذا تم منع وليمة لأعشاب البحر إن كان للجميع الحرية الكاملة؟ لماذا تم حجب أولاد حارتنا؟ فقط أنا أقوم بنقل الرقابة من (دائمة) إلى (أولية) كي تغلق الباب مقدماً أمام أغلب أهل الشطحات ..

مرة أخرى : أنا لم أطالب السلطة بتوجيه الأدباء .. إنما طالبت الأدباء بنقل النظريات والمفاهيم الإسلامية إلى أدب ثم سينما .. هذه فكرة أكبر من سلطة الدول ..

إن هذا الطرح يمكن مجابهته من أي (سلطوي) باعتراضات أكبر من حيث كونه يترك الأمر بلا رقابة سلطوية للدولة مما يهدد الساحة الأدبية بنشر روايات وأفلام لا تخالف الشرع لكنها تعارض توجه السلطة الحاكمة! الخطر على السلطة من هذا النموذج أكبر بكثير مالم تقم السلطة بصنع مؤسسة دينية تتحكم بها في العلماء والقضاة الشرعيين .

الباب الخامس
دولة الراشدين

مادمنا قد تعرفنا على ماهية الوطن الأصلي وماهية أعدائه ومراتبهم وملامح المجتمع وكيفية نقل المفاهيم الإسلامية لصناعة ذلك المجتمع يتبقى نحت تصور حول شكل الدولة التي تحكم هذا الوطن .. والمقصود بالدولة هنا المؤسسات والنظام السياسي والحكومي

(١) نواة الدولة

ما هي النواة التي يمكن بناء الدولة ا?سلامية فوقها؟

يبرز الحل التاريخي أولاً في اجتهاد أهل الحل والعقد .. ويدور تعريفهم بين كونهم علماء الأمة فقط أو يضمون أصحاب الحرف والصنائع .. فما هي إشكاليات جعل نواة بناء الدولة الإسلامية في تلك الفئات؟

الأشكالية الأولى في تعريف العلماء أنفسهم .. فإن كان المسلمون الأوائل في عهد الخلافة الراشدة متفقون على عدالة الصحابة وفضلهم جميعاً فإن الحال تطور بعد ذلك بظهور الأشعرية والسلفية وغيرها من الفرق التي تنضم جميعاً تحت مسمى أهل السنة .. إن أردت اليوم قصر أهل الحل والعقد في العلماء فمن أي فرقة ستجيء بهم؟ إن أغلب هذه الفرق لا يعترف إلا على مضض بعلماء الآخرين .. ولا يخلو الأمر من حزبية قد تسبب فرقة ومشاكل سياسية إن جمعتهم قصراً في هيئة واحدة وجعلت من وظائفها اختيار المرشحين للحكم .. فلن يسمح الأشعري بتيسير وصول سلفي إلى الحكم ولن يسمح السلفي

بالعكس .. وقس على ذلك الكثير من المواقف التي ستجعل هناك تناحراً في الأمور السياسية بداخل هيئة الحل والعقد نفسها قد يصل إلى حالة اقتتال داخلي ..

ولا سبيل لخنق هذه الحزبية الداخلية إلا بقصر العلماء وقتها على فرقة واحدة .. كأن تقصر الهيئة على فرقة غالب علماء هذه البلد .. فإن كانت السلفية متغلبة أستبعد الباقون .. وإن كانت الماتريدية الأوسع انتشاراً اختيرت هي وحدها .. وهو أمر جنوني لا يقره عقل ولا دين وسيسمح بالاضطهاد الديني لباقي فرق أهل السنة والجماعة ..

ثم إنك إن توسعت في هذا المفهوم وأدخلت فيه الحرفيين والصناع والعسكريين .. كيف تضمن أن لا تختار الفئة الأكبر عدداً والأقوى شوكة رجلاً يحقق مصالحها الفئوية مهما كانت ضد الأمة؟ كأن تحاول فئة التجار اختيار حاكم يشجع التجارة على حساب باقي مؤسسات الدولة .. أو أن يختار الجيش حاكماً يميل للحلول العسكرية الجذرية ..

و الأفضل أن يصبح الاختيار بيد كل مسلم عاقل مقبولة شهادته في هذه الأمة .. وأن تكون معايير قبول الشهادة كما هي عند علماء أهل السنة كافة .. فلا يدخل في نطاق المصوتين أصحاب العداوة

لأهل السنة كالشيعة وغيرهم من الأشباه ..

فمن يختار المسلمون؟ يختارون هيئة الشورى ويختارون حاكمهم .. الأفضل أن يكون المسلمون هم نواة البناء لا هيئات تحوي صراعات حزبية داخلية وتسيرها الميول المختلفة .. أن تبدأ الدولة بمشاركة كافة مسلمي الأمة مقبولي الشهادة .. ومن هذه النواة يتم بناء المؤسسات ..

ويظهر سؤال هام عند جعل نواة بناء الدولة هم مقبولي الشهادة من المسلمين : ما الفارق إذاً بين هذه الآلية والديمقراطية؟

والاختلاف موجود وحاسم .. فالديمقراطية لا تحدد معايير لأي فئات الشعب يقبل منها شهادتها .. فإن تحكمت في هذه النقطة فقد خالفت الديمقراطية قطعاً .. أنت (بمقاييسها) قصرت الحكم على طائفة معينة وسيسميك دعاتها (داعٍ إلى حكم طائفي أوليجاركي) .. فالديمقراطية تأخذ برأي كافة الطوائف والأديان .. فإن كنت في دولة منتشر فيها الفسوق والإلحاد ضعت وضاع الدين إن أخذت برأي الجميع .. وهذا على عكس تلك الآلية ..

لكن .. من الذي سيحدد هل الشخص مطابق لمعايير قبول الشهادة أم لا؟

هنا يجئ دور القضاة من العلماء .. فيصنعون مجموعات من

القوائم تحوي كل من يصح قبول شهادته وتكون هذه هي قائمة المصوتين ونواة البداية .. قلب الدولة يكون المسلمون لا طائفة ولا فرقة ولا جيش ..

والحقيقة أن هذه الرؤية من الممكن استخراجها من مفهوم الشورى عند المسلمين ونسبتها إلى عقيدتهم بلا أدنى مشكلة .. فلا يصح أن يظهر اعتراض عليها بوصفها فكرة غربية تم تعريبها .. إن الاجتهاد في وسائل الشورى لا يستحق غلق الباب والاكتفاء بفكرة أهل الحل والعقد فقط .. كما أن نسبة هذه الفكرة إلى الديمقراطية خطأ أيضاً فالديمقراطية علمانية بالضرورة ..

لنفترض أن حزباً يرأسه شخصاً قاتل من أجل عدم وصول أهل الإسلام للحكم .. ما هو تصرف الدولة الديمقراطية معه مقابل تصرف الوطن المسلم؟

أما عند المسلمين فهناك حكم شرعي لمن سخر أمواله لمحاربتهم والقضاء عليهم لسنوات طوال وشهد على فعله هذا الملايين .. بناء على هذا الحكم الشرعي تتعامل الدولة المسلمة التي لا تعتنق فصلاً للدين عنها .. الدولة مجرد أداة لتطبيق الأحكام الشرعية أساساً ثم تجئ الإدارة البشرية في المرتبة الثانية ..

لكن في الديمقراطية فلا حكم شرعي لرجل مثل هذ لأنه مجرد منافس سياسي.. كل ما فعله يدور في إطار المنافسة السياسية .. إنه يريد إسقاط (الإسلام السياسي) لا (الإسلام) نفسه! مرة أخرى : إسقاط (السياسة) لا (الدين) .. هكذا يتحول أي صراع (ديني) محض إلى صراع (سياسي) بمجرد ارتداءه رداء الحزبية!

وهذا عين العلمانية .. لهذا لا ديمقراطية دون علمانية .. ومادامت الدولة الديمقراطية تفصل الدين عن السياسة فوجب قذف الرأي الشرعي في أقرب صندوق قمامة لأنه لا علاقة له بالساحة السياسية!

لا ديمقراطية دون علمانية .. ولا علمانية إلا بقذف الأحكام الشرعية في صناديق القمامة .. ولا قاذف لهذه الأحكام إلا كاره لها أو مستهين بخطورة قذفها ..

و أخطرهم من يبرر فعلته أو يجهل أنه يقذفها في القمامة أصلا ..

ولا مشابهة لهذا النموذج الديمقراطي بالنموذج المطروح والذي يستبعد المطعونين في شهاداتهم - ومنهم أعداء الأمة والمخالفين لأهل السنة والجماعة - من التصويت ومن المشاركة السياسية إبتداءً ..

(٢) الحاكم

بعد تلك التجربة التاريخية الطويلة لنظم الحكم المسلمة، هل يناسب المسلمين ذلك الحاكم الذي يتم توليته بلا مدة محددة أم أن الحاكم بولاية مقيدة بعدد محدود من السنوات أفضل؟

إن الغالب على الحكام، مهما كانت شخصيتهم ضعيفة في البداية، حين يتواجدون بسُلطات مُطلقه على كُرسي الحكم تتغير شخصيتهم إلى أخرى مُتسلطة عنيفة مُتشبثة بالحُكم، بل إنه أحياناً كلما ضعفت شخصية أحدهم كلما زاد تمسكه بالحكم، ويعزز هذا المسار نشاط فئة محدودة - لكن مؤثرة - من المُجتمع لتثبيت فرعنته عن طريق النفاق، فيسقط الحاكم في قبضة هذه الفئة المنافقة عاجلاً في أو آجلاً إلا من رحم ربي، وقليل من يقدرون على مقاومة هذا الإغراء طالما بقى زمن حكمه مفتوح بلا نهاية .

ومثلت الملكية بصورتها التقليدية غالب فترات تاريخ المسلمين، برغم أنها أسوأ نظام حكم يناقض أسس المساواة في الإسلام!

فمنذ اعتمدتها الدولة الأموية كصورة رسمية للحُكم الإسلامي وقد ابتعدنا عن حكم وطن الراشدين وسنة اختيار الحكام التي اصطلح عليها الرعيل الإسلامي الأول ..

الملكية التقليدية هي آفة التاريخ الإسلامي بينما الملكية الجبرية الديمقراطية هي آفة العصر الحاضر، وعيوب الأولى لا تُعد ولا تُحصى ويكفيك أن الشعب لا يختار ولا يشارك في اختيار حكامه أبداً حتى لو بطريقة صورية كما في الملك الجبري الديمقراطي، وهو واقع تماماً تحت رحمة جينات وراثية قد تكون شاذة وقد تكون عبقرية، أضف إلى ذلك شعور عموم أفراد المسلمين باحتقار لذواتهم لأن هناك طبقة فوقية ليس من حقهم الجدال في شأنها فيصبح حديث مثل (لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى) في خبر كان بالنسبة للنظام الملكي التقليدي ..

وما يهمنا حالياً أنه في هذا النظام كان الحاكم يستمر في منصبه حتى الموت، وكان هذا أحد عوامل ازدحام تاريخ الأمة بالملوك الطغاة الفراعنة الذين ظنوا في أنفسهم الخلود والرفعة فوق مستوى البشر بمزايا وراثية ..

لمثل هذه الأمور ولأنه من الضروري استدعاء التجربة التاريخية في هذه الحالة كمرشد للنظام الأفضل، فإن تعيين زمن محدود للحاكم المسلم يظل مُراقباً أثناءه من قبل الأمة المسلمة ولا يحق له تجاوزه هو الأنسب والأفضل للقفز فوق هذه المشكلة المتكررة .. مشكلة الفرعنة .. وبينما يظل هذا الأمر مفتوحاً للاجتهاد، فان أحد أهل العلم (د.سعود النفيسان) لم ير أي مشكلة في هذه القاعدة، أو كما قال نصاً (لا يوجد في الشارع دليل يمنع تحديد مدة ولي الأمر، فهي من الأمور المباحة المسكوت عنها) ..

ومع تماثل هذا النظام في تحديد مدد الولايات مع النظام الغربي، فلابد إذاً من إظهار بعض عيوبه وسبل تلافيها إن أمكن ..

فأحياناً ما يكون وصول حاكم ما نابع من قدرته على الخطابة واستخدام البلاغة، أو ذكاؤه في مخاطبة الجماهير، لكنه داخلياً يكون بلا رؤية ولا شخصيه قياديه تستحق أن تتولى حكم الدولة .

كما يزعم النموذج الغربي أنه لا يهتم كثيراً بعقيدة الحاكم المختار ديمقراطياً ولا يهتم بدينه .. والنموذج الإسلامي يرفُض تماماً أن يتولى شخص ما منصب مصيري للأمة وهو ليس أهلٌ له عقائدياً فيفسد على المسلمين دينهم .

وتبقى أيضاً إشكالية أخرى لا مفر من ذكرها :

- ماذا لو كان هذا الحاكم صاحب رؤية وشخصية فريدة؟ كيف بالله عليك أقوم بتحديد مُدة حُكمه بعشر سنوات على أفضل الفروض؟

هذه المسائل وغيرها الكثير يمكن طرحها لنقاش جاد وبحث مستمر حتى يتم تلافي تلك العيوب، لكن لماذا لا نبدأ البحث باستعراض بعض الحلول المحتملة :

فيمكن في حال كونه صاحب شخصية فريدة ورأي مُتزن أن يتم استحداث منصب له بعد انتهاء ولايته بداخل (مجلس شورى المسلمين) فلا يُحرم المسلمون من مجهوداته وأفكاره ..

كذلك لضمان حسن اختيار الحاكم يجتاز المرشحون مجموعة من الاختبارات النفسية والعقائدية لضمان ترشح شخصية قيادية لها عقيدة ثابتة، وكم من شخصيات لديها هذه الملكات والمُميزات في بلاد المسلمين لكنها قد تعمل في أقل المناصب، لحال المُسلمين المُنتكس من قديم .. أيضاً تجئ الاختبارات النفسية للحيلولة دون ترشح من يحمل بلاغة جوفاء وشخصية كاريزمية بلا رؤية عميقة حقيقية، وهؤلاء أخطر على الأمه من أي أحد، لأنها قد تنساق

وراء شخصياتهم الجذابة بلا عقل إلى هاويه لا قرار لها ..

والأمة الواعية في النهاية تظل مراقبة لأي تجاوز في التلاعب بزيادة زمن الحكم بقيادة علماءها ونخبتها من أهل الشورى ..

أخيراً، بالنسبة لمسألة (الشورى معلمة أم ملزمة) .. بمعنى هل لابد للحاكم أن ينصاع لرأي الشورى أم بإمكانها أن يعتبرها (معلمة) له فقط مع استبداده بالقرار النهائي فأقول رأي والله أعلم أنه مادام العلماء مختلفين فيما بينهم على إلزامية الشورى فأميل بالتأكيد لرأي إلزامية الشورى .. والتجربة التاريخية للمسلمين أظهرت بوضوح ضرورة وجود هيئة حكم لها قائد فذ .. لا قائد فذ له هيئة معاونين!

(٣) الأحزاب

لا يمنع الإسلام أن يكون لك رأي سياسي مخالف لتوجه الأغلبية .. وإلا فلا معنى للشورى .. حيث يحسم رأي الأغلبية المسألة المعروضة، بشرط عدم معارضتها لشرع ولا لنص .. كأن يُناقش قانون للمرور مطروح بعدة أشكال متعارضة، فيحسمه رأي الأغلبية من المتناقشين .. وفي الشورى يلتزم من لم ينجح في تمرير رأيه بقرار الأغلبية .. فلا تجتمع الأمة على ضلالة .. وإن كان قانون المرور رأي تقني فمسألة كسياسة الدولة وتوجهاتها مع الآخر سواء بحرب أو بسلم، عندما تناقش على مستوى مؤسسة الشورى المسلمة لابد أن يُحترم فيها رأي المخالف ولابد أن يحترم المخالف قرار الأغلبية ..

الرأي لابد من احترامه وتقديره بينما القرار لابد من الانصياع له وعدم عرقلته ..

و هذا مختلف عن الحزبية في النظام الديمقراطي .. حيث يسعى

كل صاحب رأي مخالف للقوانين والسياسات السائدة إلى الحصول على شعبية وصنع توجه متحزب مضاد لمن هم في السلطة يسعى لإفشالهم توطئة للقفز بديلاً عنهم .. اعتقادا منه أن رؤيته هي الأصلح على المدى البعيد ..

لذا فالحزبية لا يصح تواجدها في النظام الإسلامي القائم على الشورى .. تنوع الآراء السياسية مطلوب لكن الجميع في النهاية يلتزم بقرار الشورى .. ولا يسعى كل صاحب رأي مخالف إلى جمع أتباع يلتزمون برأيه مما يصنع بالضرورة (الالتزام الحزبي) و(السمع والطاعة) مهدداً بذلك الأمة بالانقسام إلى فرق متناحرة في الشئون الدنيوية زيادة عن الفرق الدينية .. فنجد السلفي مثلاً يقاتل من يتبع نفس مدرسته الفقهية وإن اتفقا في كافة الشئون الدينية لكن الرأس (المخالف) الذي يتبعه قام بتحزيبه وتنظيمه في فريق له رأي سياسي تابع له .. وقتها سينتقل الصراع إلى كافة الآراء السياسية، فيزيد كل نقاش يومي في شئون الدولة من حالة الانقسام والصراع، لينقسم الحزب الواحد بعد ذلك إلى عدة رؤوس أصغر تتصارع سياسياً وتنتشر شظايا إخوان العقيدة على أرضية الدولة فلا ينتصر إلا من استطاع تجييش أتباعه وتعميتهم بشتى الصور ليبقى

كل منهم على ولائه لرأس حزبه الكبير لا يغيره ولا يستبدله .. فينتصر الأقوى والأكثر تعمية لاتباعه وهذه كارثة تؤدى لها الحزبية الديمقراطية والتي تعني (البقاء للأقوى والأكثر تنظيماً) فقط لا البقاء للرأي السياسي الأصلح ..

الحزبية الديمقراطية تصنع حالة صراع كبرى لا محالة .. وقتها لا محال من فشل مفهوم الشورى بين المسلمين .. فبدلاً من أن يدلي كل مختار من الأمة وعلمائها برأيه لمصلحة الأمة الكبرى التي اختارته، يدلي بالرأي الذي ينصر حزبه ولو على المدى البعيد، حيث تتجسد عنده مصلحة الإسلام في وصول حزبه للحكم .. فيوافق فقط على ما يقربه من الحكم ويرفض ما يبعده بغض النظر عن خطورة هذه الموافقة والرفض على مصلحة الأمة ..

فلا يمكن للنظام الديمقراطي الحزبي أن يُخرج للمسلمين رأياً سياسياً مبنياً على شورى سليمة النية والإجراءات .. بالتالي فمؤسسة الشورى الإسلامية لا يمكن أن تسمح بالحزبية ولا بسعي أي شخص لصنع فرقة بين المسلمين بعدما استقر رأي الشورى على أمر ما ..

(٤) الحكومة

و في الإسلام تعتبر خيانة للمسلمين أن تولي شؤونهم الحياتية من هو أقل في أهلية تخصصه من مسلم آخر معروف بأنه فذ في هذا المجال ..

لذا فلا يمكن قبول الحكومات السياسية القائمة على تولية (الموالين) لاتجاه أو حزب معين حتى لو كان هناك من هو أكثر تخصصاً وأهلية في الأمة .. كأن يجئ مهندس مسلم للحكومة وهو أقل في الكفاءة من مهندس مسلم آخر فذ غير مطعون فيه، لا لشيء سوى لانتماء الأول السياسي .. إن هذه تصبح خيانة غير مقبولة للأمة يحاسب عليها كل من قبلها وسعى فيها ..

فالشكل الأقرب للحكومة المسلمة هو ما أصطلح على تسميته بالحكومة التكنوقراطية، وهي الحكومة التي تضم أفضل المتخصصين في كل مجال .. وقد فشل تطبيق هذه الحكومات في النظام الديمقراطي تاريخياً حتى أصبح يقال عنها أنها شكل

(نظري) غير واقعي إطلاقاً .. وهي كذلك فعلاً في الديمقراطية .. إذ لن يوافق حزب حصل على حصة معينة في الحكومة (إن كانت الحكومات البرلمانية) أن يسلم حصته هذه لمن لا يوافقه سياسياً مهما كانت مهارته .. حتى إن كانت البرلمانات تشريعية رقابية فقط، فتحارب الأحزاب التي لا تحكم على إسقاط الوزراء ذوي الميول الحزبية المخالفة، مستخدمين في ذلك ما وسعهم من رقابة مشددة مربكة وتصيد للأخطاء ومعاندة بالتشريعات المعرقلة!

فلا يمكن تطبيق هذه الفكرة إطلاقاً في النظام الديمقراطي الحزبي .. بينما هي من صميم الأفكار الإسلامية التي كتب عنها علماء الأمة منذ قرون بعيدة ..

حكومة التخصصات فكرة إسلامية تماماً فلا يصح تولية الأضعف في وجود الأفضل والأمهر لا لشيء سوى لمخالفته التوجه الحاكم .. فإن خان الأمانة عمداً في وزارته لإسقاط الحاكمين وجبت محاكمته لخيانته الأمانة والأمة ..

و لن تصلح حكومة التخصصات إلا بعد إذابة الحزبية السياسية مع احترام الآراء المختلفة .. ولن تذوب الحزبية إلا بذوبان الديمقراطية كنظام يقوم أساساً على التنافس طوال الوقت وبالتالي

تقسيم المجتمع وازدياد العداوات بين أبناء العقيدة الواحدة .. بسقوط الديمقراطية وصعود مؤسسة الشورى الحاكمة يصبح الجو مهيئاً تماماً لحكومة التخصصات التي هي واجب على الحاكم المسلم ..

(٥) طبقات الحكومة

كيف كان شكل الدولة من الناحية الحكومية، مركزي أم فيدرالي؟

استقلال في الإدارة المحلية .. وتبعية لإدارة الأمة المختارة والمتمركزة في قطر معين ..

إدارة مركزية تقوم بتعيين الولاة والرقابة عليهم ومحاسبتهم .. وولايات شبه فيدرالية تدير شئون حياتها بحكومات محلية معينة مكانها المستوى الثاني بعد الحكومة المركزية المختارة من الأمة مباشرة ..

هذا النموذج المركب للدولة كان هو الأقرب لشكل دولة الراشدين .. خاصة بعد استبعاد عصري الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه، حينما كانت الدولة بسيطة مكونة من الجزيرة العربية فقط .. وعهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حينما كان اختيار العاصمة هام ومتغير حسب

الفتن السياسية التي ثارت في الأمة وقتها ..

يتبقى عهدي الدولة المستقرة الشاسعة المركبة .. عهد الفاروق عمر بن الخطاب وذو النورين عثمان رضي الله عنهما ..

في هذين العهدين تكونت الدولة من حكومات لا مركزية تدير كل ولاية لكنها معينة من الحاكم وأهل الشورى الموجودين في العاصمة الإسلامية وليس بيد أي حكومة شبه فيدرالية إدارة شئون تمس باقي الولايات المجاورة أو الأمة دون الرجوع للحاكم المتواجد في المدينة .. كما أنه ليس من شأنها رد السياسات العليا القادمة من العاصمة ..

لهذا فأفضل نموذج يشابه الدولة الراشدية الشاسعة وقت استقرارها، هو عدم المركزية في إدارة الشؤون الداخلية لكل قطر، والمركزية في السياسات العامة للدولة .. أن يكون النموذج مركب وغير بسيط .. حكومة مركزية لها واجبات كبرى على مستوى الأمة وحكومات داخلية لكل ولاية تقوم بإدارة شئونها التي لا تحتاج لرفع الأمر للحكومة المركزية .. مع احتفاظ المركز بحق الرقابة والتعيين ..

فلا تصبح العاصمة هي كل شيء في الدولة (نزع المركزية

المتشددة منها) وفي نفس الوقت لا تفلت الولايات بعيداً عن يدها (نزع الاستقلالية المتطرفة أحياناً في النماذج الفيدرالية) ..

حاكم وهيئة شورى مُختارين من الأمة يقومان بتعيين حكومة عامة في العاصمة وحكومات مختلفة في كافة الولايات لصنع مستويين من الإدارة .. هذا هو الأقرب في الشكل لدولة الراشدين المستقرة ..

(٦) مؤسسة دينية أم علماء بلا مؤسسة

بين أن تكون مؤسسة لها دور سياسي فوق الهيئات الحاكمة مهددة الدولة بالتحول إلى تنويع للنموذج الثيوقراطي الكنسي ونموذج ولاية الفقيه الشيعي، أو مؤسسة تحت سلطة الهيئات الحاكمة مهددة بالخضوع لها فتتحول إلى أداة في يد الحكام ليصبح الدين ملهاة فاقد لهيبة الحياد .. لابد أن نتساءل : هل هناك ضرورة لوجود (مؤسسة دينية) في الدولة الإسلامية أصلاً؟!

إن استدعاء حالة الخلافة الراشدة هنا أمر مربك .. فالصحابة كان كل منهم فرد من (أهل العلم) .. كانت الدولة هي المؤسسة السياسية وهي نفسها المؤسسة الدينية .. فكيف يمكن استدعاء هذه الحالة على الواقع؟

الاستدعاء يجوز فعلاً وليس مستحيلاً كما قد يعتقد .. فباختيار أهل العلم ممثلين في القضاة الشرعيين للمرشحين بمعايير القبول الشرعية لمن يريد التسابق للحصول على الولاية العظمى ممثلة في هيئة الشورى والحاكم بيد كل شاهد عدل من المسلمين، نتخلص من ضرورة وجود مؤسسة دينية في الدولة لها دور سياسي ..

فأهل العلم والقضاة الشرعيين دورهم فقط ينحصر في مراعاة تطابق المرشح مع المعايير الفقهية المجمع عليها لصاحب الولاية العامة بالإضافة إلى مشاركة توصيات الطب النفسي كما ذكرنا .. ثم بعد هذا يُترك أمر اختيار الأنسب للأمة المسلمة التي لن يضيعها الله والتي ستختار هيئة حكامها ..

إذن لا مؤسسة دينية في الدولة أفضل لتجنب المعادلة المربكة (فوق الحكام أم خاضعة لهم) وهذا كان الحادث في عهد الخلفاء الراشدين .. مع حفظ وجود المتخصصين من أهل العلم الشرعي في الدولة يراقبون حكامها ويُرجع إليهم في الأمور الشرعية الفقهية .. دون أن تجمعهم مؤسسة لها وضع سياسي في الدولة ..

أما عن العلم الشرعي فيكفي جداً تحديد مؤسسات تعليمية متخصصة للجانب المتطور منه أما باقي العلوم الشرعية فيتم تدريسها للطلاب العاديين في كل الدولة منذ الصغر .. هكذا لا يصبح هناك فرد للدولة -وبالتالي سياسي فيها- لا يحمل مخزوناً شرعياً متميزاً ..

إن إذابة الدين في المجتمع كله ليصبح مجتمعاً عالماً بالشريعة مع عدم قصر الدين على مؤسسة، يخدم المسلمين وهو الأنسب لما كان عليه عهد الخلفاء المهديين ..

فهرس الموضوعات

مقدمة ٥
أوثان الأجداد: ٥
الباب الأول: عصر الممالك الجبرية ١١
(١) الملك الجبري الديمقراطي ١٢
(٢) دور التجزيئية والفورية في الملك الجبري الديمقراطي ٢٣
(٣) محو حدود الواقع ٢٩
(٤) الديمقراطية . . رأسمالية أميركية بالضرورة؟ ٣٦
الباب الثاني: مجتمع الراشدين ٤٠
(١) الوطن الأصلي ٤١
(٢) لماذا لا يليق الإسلام مع الدولة الحداثية؟ ولماذا لا يتحد المسلمون؟ ٥٣
(٣) المسلم كسلاح دمار شامل ٥٨
(٤) المشكلة الجنسية وحرية الزواج ٦٣
(٥) التعليم . . تغيير لا تطوير ٦٩
الباب الثالث: أعداء الوطن ومراتبهم ٧٣
(١) التاريخ ليس حاكماً على صحة المعتقد ٧٤
(٢) العدو الصانع والعدو المصنوع ٨٢

(٣) لا تحالف مع العدو الأول ٨٧
(٤) التوافق يكون مع الحق ٩٢
(٥) نسبية الحق والإنسان المتأله ٩٨
الباب الرابع: متوالية نشر المفاهيم وصناعة الوعي ١٠١
(١) المتوالية ١٠٢
(٢) الحالة المصرية، المرحلة الأولى . . المُنظِّرون ١٠٥
المرحلة الثانية . . الأدباء ١٠٦
(١) التأثير المُباشر . . نجيب محفوظ ١٠٦
(٢) التأثير غير المباشر . . نبيل فاروق ١٠٩
المرحلة الثالثة: السينما ١١٦
(١) فيلم الناصر صلاح الدين ١١٦
(٢) فيلم رد قلبي ١١٨
(٣) فيلم الأيدي الناعمة ١١٨
(٣) المتوالية الغائبة ١٢٠
(٤) الضحك، حصان طروادة! ١٢٥
(٥) المتوالية عالمياً ١٢٩
(١) فيلم (هاري بوتر Harry potter) ١٣٠
(٢) فيلم شريك Shrek ١٣١
(٣) فيلم أوتيل ترانسلفانيا ١٣٢
(٤) فيلم (الرجال اكس Xmen) ١٣٣
(٦) نقاش حول المتوالية ١٣٥

الاعتراض الأول (لا للتمثيل . . لا للسينما) ١٣٥
الاعتراض الثاني (الفن مؤامرات ومؤامرات مضادة!) ١٣٦
الاعتراض الثالث (رولنغ! إنها مجرد صدفة) ١٣٩
الاعتراض الرابع (شرعنة الطغيان) ١٤٠
الباب الخامس: دولة الراشدين ١٤٢
(١) نواة الدولة ١٤٣
(٢) الحاكم ١٤٨
(٣) الأحزاب ١٥٣
(٤) الحكومة ١٥٦
(٥) طبقات الحكومة ١٥٩
(٦) مؤسسة دينية أم علماء بلا مؤسسة ١٦٢
فهرس الموضوعات ١٦٤

تم الصف بمكتب الحسام - ٠١١١٨٠٢٨٧٥٦
Maktab_Alhosam@yahoo.com

وطن الراشدين هو محاولة لبعث حالة عصر الخلفاء الأربعة الذهبي لمعالجة الواقع الحالي قدر الإمكان، فكانت البداية عند مناقشة و نقد أشهر نظام سياسي معاصر، ألا و هو الديمقراطية، و حجم قدراته الواقعية على تحقيق آمال مجتمعات المسلمين في كامل وطنهم - ذلك الوطن الذي نحاول تحديده و بعث مبادئه مجتمعياً في الفصل الثاني كي نجعله شديد الصلابة في وجه أعدائه الذين يتم تعيينهم و تحديد مراتبهم في الفصل الثالث.

في الفصل الرابع نستعرض كيفية تحويل هذه المفاهيم المجتمعية المطلوب نشرها إلى صيغة مقروءة و مرئية يسهل على الناس تلقيها و تشبعهم بها، ثم يجيء الفصل الأخير ليحدد شكل الدولة الإسلامية الجديدة من الناحية السياسية، و التي تستلهم مبادئ و أفكار عصر الخلفاء الراشدين في مؤسساتها و حكوماتها -

وطن الراشدين -

محاولة لزرع نواة مجتمع الخلافة - على منهاج الصحابة المهديين -

و محاولة لزرع نواة دولة الخلافة - على منهاج الخلفاء الراشدين -

عمرو عبد العزيز

دار القمري
للنشر والتوزيع